

# بدائع النجيان

نخب منه مبدئيات الفيلسوف الروسي تولستوى

تعريب

عبد العزيز امين الخانجي و اسماعيل يوسف الدروى

الطبعة الأولى

سنة ١٣٣٦ و سنة ١٩١٨

مطبعة الصنباغ

بشارع خيرت - بالقاهرة

obeykandi.com

# بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

نحمدك اللهم ونستعين بك ونصلي ونسلم على سيدنا  
محمد نبيك ورسولك .

وبعد فقد اشتهر الكونت لاون تولستوى برواياته  
التهذيبية ومقالاته الاجتماعية شهرة بلغت به منزلة لا يصبو  
اليها الا ذوو النفوس الكبيرة من دعاة الاصلاح وقد  
انتشرت تعاليمه ونقلت كتبه ورسائله الى أكثر اللغات  
الأوربية حتى تداولها أهل القارات الخمس وأصبح ذكره  
حديث القوم في مجالسهم ومنتدياتهم الادبية .

وقد وقع بايدنا منذ أيام كتاب صغير من كتبه مترجم  
الى اللغة الانجليزية يحوى طائفة صالحة من قصصه الصغيرة  
ضمنها كثيرا من آرائه وأفكاره التي تقضى باطراح الاوهام  
والخرافات والتحلي بالتواضع والتخلي عن الصاف والعتو  
والاعتماد على طهارة السيرة والسريرة ومعاملة الغير بالالطف  
والاحسان الى غير ذلك من أغراضه التهذيبية ومراميه  
الفلسفية التي اشتهرت عنه .

ماكدنا نقرأ هذا الكتاب لأول مرة حتى عشقناه  
وأحببنا تعاليمه ووددنا لو أننا عربنا بعض ما فيه من القصص  
التي تجمع بين الفكاهة وتهذيب النفس لينتفع بها اخواننا  
قراء العربية ويلموا بعض الامام بطرف من آراء فيلسوف  
اوربا العظيم الذي غربت شمس حياته في فجر القرن العشرين  
وقد أشار علينا بعض الفضلاء أن نذكر طرفاً من  
حياة تولستوى ليكون قارئ كتابنا على بينة من منزلته  
بين قومه خاصة وأهل أوربا عامة

وهانحن اولاء قد أخذنا على عاتقنا اتمام هذا العمل  
على خطورته وقلة بضاعتنا واتماما للفائدة رأينا أن نذيل  
الترجمة بقصيدة رثاء قالها أمير الشعراء أحمد بك شوقي حين  
وفاة فيلسوف روسيا العظيم وفي مأمولنا أن يكون من  
وراء هذا الصنيع الفائدة الأدبية التي ننشدها بفضل الله  
وكرمه انه عليم بالنيات وهو المستعان على تحقيق الغايات .

تحريراً بالقاهرة

عبد العزيز الخانجي و اسماعيل يوسف الدروي

## ترجمة حياة الفيلسوف الروسي العظيم الكونت لاون تولستوى

تمهيد: قد يتوالى كثر الجديدين وتتر الايام والاعوام  
مر السحاب طامسة باقدامها رسوم الاجيال الماضية والناس على  
ما هم عليه من فطرتهم الاصلية مستسلمون لما ورثوه عن آباءهم من  
التقاليد والعادات مذمومة كانت أم مرضية فاسدة أم صحيحة،  
ويظنون كذلك لا يفقهون معنى لما يرونه من المراتيات ولا يحركون  
ساكننا لما يمر عليهم من صنوف العظات، الى أن يمن الله عليهم  
بمن يميظ الانام عن سر ما جهلوه ويكشف لهم الستار عن كنهه ما لم  
يتحققوه، فينبههم من رقتهم ويرشدهم الى ما كانوا عنه غافلين .  
أوائك هم أقطاب العلم ورسد التهذيب ومهبط المدنية ونور  
العرفان، بهم تهتدى الامم وعلى يدهم يتم صلاح الجماعات ونظام  
الشعوب، غير أن الدهر وهو البخيل بامثال هؤلاء الاقطاب لا يكاد  
يجود بفرد منهم على رأس كل جيل حتى تنصب عليه سهام الاعنات  
من كل حوب وتلقاه الناس بالعداوة والبغضاء، والسبب واضح  
جلي فالناس اذا استقامت مدة من الزمان الى بعض العادات الفاسدة  
وتوارثت طوال الاجيال العاهات والامراض النفسية بعضها عن  
بعض، تصبح بينهم من الصفات اللازمة ولا ينظرون اليها اذ ذلك  
كعاهات وأمراض بل يعتبرونها كخلال طبيعية أنزلها الله على

آدم فاذا ماظهر بينهم من هو خاك منها غير متحلل بها ظنوه ناقصا  
فناصروه العداة ونابدووا بالاقاب .

نظرة الى كل من اشتهر بفضل أو عرف بشيء من النبل نعلم  
مقدار ماغنى من الدهر وقاسى من مناوأة الناس فى سبيل الحق .  
فهذه أئمة المسامين وهدايتهم مثل مالك والشافعى وفلاسفة هذه  
الامة ودعاة الاصلاح فيها كالمعري وابن رشد وابن تيمية ومن  
تقدمهم وجاء بعدهم من فلاسفة اليونان والرومان والفرس  
وغيرهم من علماء المعقول والمنقول ممن لا تزال أشخاصهم ماثلة  
فى أذهاننا والانزال نستضيء بنبراسهم قد نغص الدهر عابهم عيشهم  
وضيق غايهم مذاهبهم اشذوذهم عن المؤلف وخروجهم عن  
المعروف ولم يرجعهم ماغم فيه عن سبيل رأود هو سبيل الحق بل  
مازالوا فى عراق وكفاح حتى لقواربهم فرحين بما قضاوا من  
واجب الارشاد غايهم غير مكترئين بما لقوا فى سبيل الواجب  
والسكونت تولستوى الذى تقدم الى القراء ترجمة حياته  
( مقتضبة من دائرة المعارف البريطانية ومجلة الهلال الغراء  
وبعض المجلات التركية ) هو أحد أولئك الافراد الفلائل الذين  
لا يكاد الدهر يجود بواحد منهم حتى يتفانى الناس فى تمجيد  
خصاله ويفرقون فى اجلال ذكره واكبار شأنه اذ يعمل  
الفرد منهم على اسعاد نوع الانسان وترقية حال بنى البشر  
أكثر مما يعمل المئات بل الالوف من معاصريه

ولم أر أمثال الرجال تفاوتاً إلى الفضل حتى عدّ ألف بواحد

\*\*\*

**نشأة الاولى :** تشغل حياة تولستوى ثلاثة أرباع القرن

التاسع عشر وعشر سنين من فجر القرن العشرين اذ كان ميلاده في الثامن والعشرين من شهر اغسطس عام ١٨٢٨ في قرية ( ياسنايا بوليانا ) في ولاية طولاً من أعمال روسيا . فانت ترى أن شمس حياته بزغت في فجر القرن التاسع عشر وعاش معاصراً لكثير من فحول العلماء والفلاسفة مثل هييجو وغوته وغيرهما من الذين ولدوا معه في فجر القرن وغربت شمس حياتهم في أصله

وأسرته المانية الأصل هاجرت في عهد بطرس الأكبر واشتهر منها بطرس تولستوى الذى كان سفيراً لروسيا لدى الدولة العثمانية وأدخل في مصاف الأشراف عام ١٧٢٤ وكان لهذه الاسرة منزلة رفيعة بين الأشراف الروسية اذ اشتهر كثير من أبنائها بالسياسة ونبغ آخرون منهم في فن الكتابة

أما أمه فكانت من بيت مجيد عريق في الحسب وشرف الاصل يعرف بأسرة فولكون وكانت القرية التى ولد فيها الفيلسوف ملكا لها فقامته فيها ليقتضى أيام طفولته ولكن واقفاها القدر المحتوم وهو في إبان نشأته فعهد بتربيته الى سيدة من ذوات قرابته وانتقل به والده اذ ذاك الى مدينة موسكو حيث عاجلته المنية قبل

أن يبلغ الكونت العاشرة من عمره فعهد بتربيته الى سيدة اخرى من ذوات قرابته تدعى بوشكوفا فعادت به الى قرية ياسنايا مقر ولادته وهناك تلقى دراسته الأولية

تعليم : وما كاد يبلغ الخامسة عشرة حتى انتقل الى مدينة قازان وانتظم في سلك جامعها مدة عامين توفراً أثناءهما على دراسة بعض العلوم العالية وفيها درس أيضا بعض اللغات الشرقية غير أنه ما لبث ان عافت نفسه الجامعة ودروسها لنفوره من اخلاق تلامذتها فعاد الى قريته ثانية وأكب هناك على مطالعة كتب مشاهير المؤلفين والادباء من الروسيين والفرنسيين والالمان أمثال روسو وهييجو وفولتير وديكنز وبوشكن وترجنيف وشيللر وغوطه ولكنه كان أشد تعلقا بمؤلفات روسو ، فعاش عيشة مستقلة لا يحتاج فيها الى مرشد ولا مؤدب الا الدهر وحوادث الايام وتتبعاته الشخصية .

أوائل شبابه : وقد أخذت الاعتبارات الفلسفية تشغل أفكاره في أوائل شبابه فكان شغله الشاغل أيام صباه هو التفكير في ( ماهو الانسان ؟ ) و ( من أين أتى ؟ ) و ( الى أين مصيره ؟ ) و ( ماهي السعادة ؟ ) الى غير ذلك من المسائل الفلسفية العويصة التي كانت نرد مخيلته تباعا آخذة بعضها برقاب بعض حتى نشأ عنده ميل خاص للمباحثات والمناظرات فكان يقضى طوال الساعات

والايام في مجادلة أقرانه ومناقشتهم فيما يعرض له من الافكار .

انتظامه في -المك الجذرية : وبينما كان الفيلسوف الشاب على

الحال التي وصفناها لك حائرا بين تأثيرات الطبيعة وموجيات الكتب والاسفار اذ زاره شقيق له أكبر منه سنا في قرية ( ياسنايا ) وكان شقيقه هنا من ضباط الجند الروسي ببلاد القوقاز ، فوصف له حالة الجند وما يحمله من نضارة العيش ورفاهة الحال وما زال به يحسن له حالته ويرغبه في الانتظام بسلكهم حتى رضي وأطاع شقيقه فاصبح في عداد الضباط وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، وعند نشوب حرب القرم انتقل الى الطونه وانضم الى أركان حرب البرانس غورتشاكوف ثم انتقل الى سيباستبول حيث عين قائدا لفرقة من المدفعية . وكان لانتقاله من بيئة لاخرى أثر كبير في اثاره فريحته وتوسيع خياله فتغيرت أطواره وتحوت كليته وتبطننت أعماق نفسه بانفعالات كثيرة ظهر على إثرها أهم مؤلفاته التي يصف فيها حالة الجند وأهوال الحروب وما يكابده الانسان من فظائعها

رهاته ونواجه : وفي العقد الرابع من سنى حياته تطلع الى

السفر فسافر سنة ١٨٦٢ وساح في بعض انحاء اوربا ثم رحع الى قريته واقترن في العام الثاني بالسيدة صوفيا ابنة الدكتور بيرس الالماني الذي كان يقيم في موسكو فاضطر تولستوى أن يداول السكنى بينها وبين قريته وكانت قد نضجت مواهبه واتسعت معلوماته

لكثرة ما شاهده واختبره بنفسه وكانت الحكومة قد عينته قاضياً في قريته فبدأ بنشر تعاليمه وأخذ يدعو الناس إلى السلام والفضيلة سواء أبا القدوة أو بالتعليم

**عيشته اليومية :** وقد اشتهر بزهده في الحياة وتخليه عن مظاهر الوجاهة فكان في قريته مع زوجته وأولاده في منزل بسيط يحاط بغابة كثيفة ليس فيه من الأثاث إلا الضروري فكان يقوم مبكراً فيلبس ثوباً بسيطاً مثل أثواب الفلاحين، وهو عبارة عن سراويل واسعة فوقها كساء كالقميص يتمنطق حوله بسير من الجلد .

وكان يتناول طعام الإفطار ثم يذهب إلى العمل في حث الأرض وتمهيد أشجارها وبذر الحبوب ومساعدة ضعفاء الفلاحين في أعمالهم .

**سيرته بين فروعِهِ :** كانوا يعجبون بتواضعه ويستأنسون بدعته ولطف شمائله فاذا وقع بينهم خلاف تقاضوا إليه وارتضوا حكمه وكان قد أنشأ في قريته مدرسة ينفق عليها من ماله الخاص لتعليم أبناء الفلاحين وكان يتولى تعليمهم بنفسه، فاشتهرت المدرسة وقصدها أهل المدائن الأخرى المجاورة يلتمسون الاستفادة من آرائه وفلسفته وأنشأ لهم أيضاً مجلة تهذيبية تصدر باسم القرية وقد بلغ من محبته لفلاحى قريته أنه أراد أن ينبذ فكرة الاستئثار

بالمملك الشخصى وأحب أن يوزع أملاكه بينهم بالتساوى فيشتغل  
كواحد منهم ولكن زوجته وذوى قرابته أبوا عليه ذلك .  
تلك كانت حاله بالصيف أما فى الشتاء فكان يقيم فى موسكو  
فينقطع عن الاعمال البدنية وينشرغ للتأليف والتجبير فيؤلف  
ويراسل ويكتب .

**هبته العلميه :** لانكاد نذكر اسم تونستوى حتى يخطر على

البال مؤلفاته العديدة ورسائله المتنوعة وأشهرها ( الحرب والسلم )  
و ( البعث ) و ( حنا كرانينا ) و ( القيامه ) و ( أين المخرج )  
و ( الحب والزواج ) و ( بم يعيش الناس ؟ ) و ( ديانة المسيح )  
و ( الحياة ) و ( مملكة الظلام ) غير أننا لانكون مبالغين اذا قلنا ان  
لرواياته الثلاث الاولى وهى : ( الحرب والسلم ) و ( البعث ) و ( حنا  
كرانينا ) القدر المعلى والمكانة السامية فى عالم الادب والتأليف  
لا فى روسيا فقط بل فى جميع العالم الاوربي . ولا راء فى أن  
هذه الروايات الثلاث هى الدرّة اليتمة وواسطه القلادة بين درر  
مؤلفاته وغوالى حكمه فان رواية ( حنا كرانينا ) تمتاز بدقة البحث  
فى تصوير ما يحصل عادة فى عالم الزواج من الآلام والاضطرابات  
التي منشؤها عدم التروى والمضى مع الاهواء النفسية وفى روايته  
( البعث بعد الموت ) وصف الامراض الاجتماعية وصورها بكل  
ألوانها ومعانيها مع ذكر كيف أن الناس فى هذا العصر أصبحوا

يتنشقون سموم الظلم والاستبداد ويتجرعون كؤوساً مملؤها الكذب والرياء بدل استنشاقهم الهواء وشربهم الماء . وفي هذه الرواية يقول الناقد الفرنسي المعروف جول لومتر: « كتب تولستوى روايته ( الحرب والسلام ) و ( حنا كرانينا ) ثم خجل من الشهرة وبعد الصيت اللذين نالهما أثر ظهورها فاحتجب في كسر داره واختفى بين صحائف الانجيل مدة خمسة عشر عاماً ثم ظهر في عالم الادب ثانية وفي يده اعجوبة مؤلفاته كتاب ( البعث بعد الموت ) »

ولو أمعنا النظر في حياة تولستوى المعنوية نرى أنها بكل ألوانها ومظاهرها سياسية كانت أم اجتماعية دينية أم خلقية عبارة عن سلسلة حروب شعواء كان يشنها ذلك الرجل العظيم ضد الظلم والاستبداد ومفاسد المدنية الحاضرة ورذائلها ، فكان يرى رأى روسو القائل بان صلاح الناس أو فسادهم انما يدخل عليهم من باب المعاشرة والمخالطة ويسلك اليهم من طريق البيئة والجوار ثم نظر الى المدنية الحاضرة المشبعة بالانوار الكاذبة وفتان الى ما تحت تلك الاضواء من ظلمة المفاسد والرذائل وعلم أن التبعة في فساد نظام الاجتماع واقع على الرئاسات الدينية والسياسية فوقف حياته على ايقاظ أخوانه في الانسانية وقضي معظم حياته يدعو الناس الى دينه الجديد ( Religion de la bonté ) وأساسه ايجاد رابطة المحبة والشفقة بين الناس وعدم مقابلة الشر بمثله ولذا نرى

ان روح هذا المبدأ تتجلى في أغلب كتبه وتعاليمه التي تكاد تنطق بلسان واحد هاتين القاعدتين الحكيمتين وهما :

(١) أحبوا بعضكم بعضا

(٢) لا تقابلوا الشر بمثله

مقارنة بينه وبين ابي العلاء : ذهب بعض كتاب اوربا

الى وجود الشبه بين تولستوى وبين روسو وعزز رأيه بادلة لا محل لذكرها في هذه المقدمة الوجيزة وانا نرى انه من الظلم أن نختم مقدمتنا دون أن نذكر ما رأيناه من وجوه الشبه بين حياة صاحب الترجمة وحياة أبي العلاء المعري المولود سنة ٩٧٣ م . فكل الرجلين عاش زاهداً في الحياة وكلاهما ناله من اضطهاد رجال الدين ما نقص عليه العيش وضيق دونه المسذاهب ولكلاهما آراء في الحياة ونظرات في الاحتماع تتفق معنى ومبنى

اشتهر تولستوى بزهد في الحياة وتخليه عن مظاهر الوجاهة على نحو ما مر بك في مقدمتنا هذه ، كذلك كان أبو العلاء زاهداً في الحياة متخلياً عن ملذاتها يردد قوله :

أُتيتني من الايام ستون حجة      وما امسكت كفاي ثني عنان  
ولا كان لي دار ولا ربع منزل      وما مسني من ذاك روع جنان  
تذكرت أني هالك وابن هالك      فهانت علي الارض والثقلان

الا انهما و إن زهدا في كل لذات الحياة فقد رغبا في العلم والتأليف

الذين قد ملكهما واستأثرا بهما ولا شك ان ذلك كله مما معاشره  
الناس ومجاهلتهم الى حد معلوم فان أبا العلاء كان مضطراً الى  
عشرة الناس لاحتياجه الى من يقرأ له ويكتب عنه ولذلك لم يكف  
يستقر في المعرة حتى اشتغل بالتعليم فالتفت حوله الطلاب من جميع  
الاطراف . كذلك كان تولستوى مضطراً لمجاهلة زواره العديدين  
الذين كانوا يقصدونه من أقاصى البلاد يلتصون الاستفادة من  
فلسفته وآرائه .

وصف الرحالة ناصرى خسرو أبا العلاء المعرى بقوله :  
« ويحكمها ( أى المعرة ) رجل ضريب يعرف بأبى العلاء عظيم  
الثروة يملك عددا ضخما من العبيد وكان سكان المدينة كافة خدمه  
أما هو فيحيا حياة خشنة يابس غليظ الصوف ولا يغادر بيته ولا  
يأكل الا الشعير وسعت الناس يتجدثون بان بابيه لا يفتح وأن  
نوابه يعملون في تدبير المدينة ولا يلجأون اليه الا في مهام الأمور .  
الخ » . ولو صح هذا الوصف وهو ما أثبت احتمال العلامة طه  
حسين في كتاب ( ذكرى أبى العلاء ) صحيفة ٢٣٠ بقوله : « فمن  
الظلم للتاريخ ان نمر بهذا الخبر من غير أن تثبت هذا الاحتمال »  
لكان مشابها للمعيشة التي كان يعيشها الفيلسوف تولستوى في قرينته  
بين فلاحيه ومريديه <sup>١)</sup>

(١) لم نجد في كل التواريخ التي ترجمت تاريخ حياة أبى العلاء ما يحقق  
قول الرحالة أو يثبت احتمال الاستاذ طه حسين فقد اجمع الكل على أنه كان

كان تولستوى يرى أن نظام الاجتماع فاسداً يحتاج إلى إصلاح  
وان فسادة ناجم عن الرئاسات الدينية والسياسية كذلك كان  
يرى أبو العلاء وصرح بهذا الرأي غير مرة في اللزوميات وسقط  
الزند فمن ذلك قوله :

ساس الانام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان  
وكذلك قوله :

مل المقام فكم أعانر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها  
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها  
رأى تولستوى في المرأة قبيح لأنه يسيء الظن بها في كل  
أطوارها ويرى أن تقطع كل علاقة بينها وبين الحياة العامة فمن  
ذلك قوله : « على الرجل أن يراقب سلوك امرأته ولا يطلق لها

فقيرا لا بملك من عرض الدنيا غير القليل التافه وقد رفض هبات الملوك واعطيات  
الامراء وعاش تانماً باليسير إذ كان له وتف يحصل منه في العام على ثلاثين  
دينار قدر منها لمن يخدمه النصف. الا اننا مع ذلك لا ننكر ما كان لاسرته  
التنوخية من الوجاهة وما كان لابي العلاء نفسه من المكاتبة في نفوس أمراء عصره  
وقد ذكر الذهبي نقل عن القفطى « ان صالح بن مرداس صاحب حلب خرج  
الى المعرة وقد عصى عليه اهالها فنازلها وشرع في حصرها ورمها بالخبائق فلم  
احس اهالها بالغاب سعوا الى ابي العلاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع  
فيهم فخرج ووجهه نأثد بقوده فأكرمه صالح واحترمه ثم قال لك حاجة نال: الامير  
اطل الله بقاءه كالسيف القلطم لان مسه وخشن حده وكانها المبالغ ( ? ) تاظ  
وسطه وخطاب برده خذ المعو ومر بالعرف واعرض عن الجاهلين . فقال له صالح  
قد وهبتها لك »

العنان بل يحجبها في البيت والبيت دائرة حرية واسعة للمرأة « (١)  
 وقال في موضع آخر في الزواج : « ان الزواج أصبح في عصرنا هذا  
 بيننا محض خداع وغش ولكنه لا يزال يوجد عند أولئك الذين  
 يرون فيه سرا من أسرار الدين كالمسلمين والصينيين والهنود أما  
 نحن فلا نرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية » (٢)

ولأبي العلاء رأى في المرأة كثير المطابقة لرأى توأستوى فهو  
 كثير الظن بها ويرى أن تعيش بمزل عن الحياة العامة وتشد في  
 طلب الحجاب كما أشار في قوله :

علموهن النسيج والغزل والردن وخلوا كتابة وقراءه  
 وكذلك قوله :

فحمل مغازل النسوان أولي بهن من اليراع مقامات  
 ومنه قوله في التائية :

ولا ترجع بايحاء سلاما على بيض أشرن مسلمات  
 آلات الظلم جئن بشر ظلم وقد واجهتنا متظلمات  
 فوارس فتنة أعلام غي لقينك بالاساور معلقات

ذكرنا آنفاً كيف أن توأستوى نبذ الاعتقاد القائل بالاستئثار  
 الشخصي وأراد أن يقسم أملاكه بين فلاحيه وبشتغل كواحد  
 منهم فكانه بذلك يعزز رأى أبي العلاء القائل :

(٢١) ن كتاب حكم النبي محمد توأستوى تعريب الإديب الفاضل سليم  
 افندي تبين

كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء  
 ونقوله في هذا المعنى كثيرة يتقف عليها القارئ في أكثر  
 (لزومياته) .

الى هنا تنتهى من المقارنة بين افكار بطلى القرن التاسع  
 والقرن العشرين بعد الميلاد، والى هذا الحد نكون قد أنجزنا  
 ما وعدنا به القارئ من ترجمة حياة فيلسوف روسيا العظيم  
 (الكونت لاون تولستوى) الذى أفل نجم حياته فى ٢٠ نوفمبر  
 عام ١٩١٠ ليكون على بنية من تاريخ حياة أحد رجال العالم  
 العظماء الذين أفادوا النوع الانسانى بافكارهم الصالحة وسيرتهم  
 المبرورة وسريرتهم الطاهرة



قصيدة أمير الشعراء احمد شوقي بك فى رثاء هذا الفيلسوف

عليك ويبكى بأس وفقير	(طولستوى) تجرى آية العلم دمعا
وما كل يوم للضعيف نصير	وشعب ضعيف الركن زال نصيره
وأنت سراج غيبوه منير	ويندب فلاحون أنت منارهم
ولا يملكون البت وهو يسير	يعانون فى الاكواخ ظلما وظلما
عليهم وتغشى دورهم وتزور	تطوف كعيسى بالحنان وبالرضا
وللاخادميه الناقمين قشور	ويأسى عليك الدين اذ لك لبه
أنا جيل منها منذر ويشير	أيكفر بالانجيل من تلك كتبه

تناول ناعيك البلاد كأنه  
وقيل تولى (الشيخ) في الارض هائما  
وقيل قضي لم يغن عنه طبيبه  
اذا انت جاورت (المعري) في الثرى  
وأقبل جمع الخالدين عليكما  
جماجم تحت الارض عطرها شذى  
بهن يباهى بطن (حواء) واحتوى  
فقل يا حكيم الدهر حدث عن البلى  
أحطت من الموتى قديما وحادثا  
طوانا الذى يطوى السموات فى غد  
تقادم عهدنا على الموت واستوى  
وهل عاجل الاحياء يؤسا وشقوة  
قم انظروا أنت المالىء الارض حكمة  
أناس كما تدرى ودنيا بحالها  
وأحوال خلق غابر متجدد  
تمر تباءنا فى الحياة كأنها  
وحرص على الدنيا وميل مع الهوى  
وقام مقام الفرد فى كل امة  
وحور قول الناس مولى وعبد

يراع له فى راحتك صرير  
وقيل بدير الراهبات أسير  
والطلب من بطش القضاء عذير  
وجاور (رضوى) فى التراب ثبير  
وغالى بمقدار النظير نظير  
خباهن مسك فوقها وعبير  
عليهن بطن الارض وهو فخور  
فانت عليم بالامور خبير  
بما لم يحصل منكر ونكير  
وينشر بعد العلى وهو قدير  
طويل زمان فى البلى وقصير  
وقل فساد بينهم وشور  
أأجدى نظيم أم أفاد نثير  
ودهر رخي تارة وعسير  
تشابه فيها أول وأخير  
ملاعب لا ترخي لهن ستور  
وغش وافك فى الحياة وزور  
على الحكم جمع يستبد غفير  
الى قولهم مستأجر وأجير

وأضحى نفوذنا لأمري في الوردى  
تسأس حكومات به وممالك  
وعصر بنوه في السلاح وحرصه  
ومن عجب في طلبا وهو وارف  
ويأخذ من قوت التقير وكسبه  
ولما استقل البر والبحر مذهباً  
ولا نهى إلا ما يرى ويشير  
ويذعن اقبال له وصدور  
على السلم يجري ذكرها ويدير  
بصادف شهماً آمناً فيغير  
ويؤوي جيوشا كالحصي ويمير  
تعلق أسباب السماء يطير

## الحكاية الاولى

بم يعيش الناس

كان سيمون صانع أحذية لايمك من الارض قيد شبر ،  
وكان يقطن كوخا لاحد الفلاحين ويعيش من كسب يده .  
لقد كان العمل إذ ذاك كاسدا وحركته خامدة، وزاد الطين بلة أن  
سبل العيش كانت مجهددة ونار الغلاء متأججة في كل حاجيات الحياة  
لذلك كان كل ما يقبضه سيمون ثمنا لعرق جيده ينفقه في سبيل  
الحصول على قوت يتلفان به هو وزوجه . لم يكن لذلك الشيخ  
وزوجه إلا غطاء جامدى يتقاسمانه سويا ليدفع عنهما قر الشتاء، ولقد  
استنهرت فتوق ذلك الغطاء فكان هذا هو العام الثانى الذى احتاجا  
فيه الى شراء غطاء آخر . لذلك خرج سيمون متوكئا على عصاه  
موليا وجهه شطر القرية حيث يمكنه أن يجمع من بعض القرويين

ما هم مدينون به من التهود . فوفى له بعضهم وأمهاته البعض وتقدم  
أحدهم عشرين كوبكا ( ١ ) ، فلم يكن ذلك المبلغ كافيا لشراء  
الغطاء ولكنه كافيا لان يدفعه سيمون ثمنا لبعض كؤوس من  
التوتكا ( ٢ ) . بعدئذ قفل راجعا الى منزله كبير القلب وأخذ  
. ندى في طريقه تارة عن غضب زوجه وسخطها عليه وآونة مخاطب  
القروى الذى أعطاه العشرين ( كوبكا ) قائلا : « قف قليلا ! وأتقدنى  
كل ما أنت مدين به . انك أعطيتنى عشرين ( كوبكا ) فقط وادعيت  
الفاقة ولكن ماذا يهمنى وماذا عساي أن أفعل به هذا المبلغ ؟ انك  
تملك دورا وماشية واما أنا فلا أملك الا ما أسد به الرمق . انك  
تملك الحقول الغنية بالحلب والتمر واما أنا فاشترى كل حبة من قوت  
يومية ، انك تستزيد من كل شىء واما أنا فاحتاج الى أقل شىء فانت  
مترف ذو نعمة وأنا شقي ذو متربة اذا يجب أن تدفع . هلم لا تتردد »  
وما وصل من هذيانه الى هذا الحد حتى كان قد انتهى الى معبد  
مقام عند منعطف الطريق ، فنظر واذا به يرى شبيحا أبيض يلوح  
وراء المعبد فلم يتبينه تماما لان طلائع الليل أخذت تطرد جيوش  
النهار من تلك البطاح والوديان ثم أخذ يسائل نفسه : « ما عسى  
أن يكون هذا الشبح ؟ إنه حجر أبيض . ولكنى لم أشاهد هذا  
حجرا قبل الآن . الا يكون ثورا اذا ؟ ولكن لا . فان رأسه

( ١ ) الكويك عماله روسية قيمتها  $\frac{1}{6}$  من الروبل الروسى اى انها

تساوى مليما ( ٢ ) شراب روسى

تمائل رأس الانسان الا انها ناصعة البياض وماعسى أنت يفعل  
الانسان هناك . « ثم اقترب من الشيخ قليلا قليلا حتى تجلت امامه  
حقيقته وزال ماخاير فؤاده من الريب .

ماذا رأى : رأى رجلا عارى الجسد جالسا بانحناء وراء المعبد  
لاحران به . فتوجس سيمون من نفسه خيفة وهاله ذلك المنظر  
وظن أن أحد القرويين ظنم به فقتله ثم تركه في تلك البقعة .  
فاوسع خطاه وسار من امام المعبد حتى لا يمر بالشيخ ، ثم حانت منه  
التفاتة الى الوراء فرأى الرجل يتبعه بنظراته فدب في قلبه ديب  
من الرعب والاشفاق وأخذ يفكر فيما اذا كان يرجع اليه ليستقصي  
خبره ويستفسر عن حاله أو يستمر في طريقه . فأثر الاخرى وظن  
أنه ان دنا منه فهو ليس بناج من شروره وأيضا فهو غير قادر على  
اغائة رجل عارى الجسد .

ماخطا سيمون بضع خطوات حتى شعر بتقريع الضمير وأخذ  
يسائل نفسه : « ماذا أنت فاعل ياسيمون : أتهرب من اغائة  
ملهوف ربما كان على شفا الموت ؟ اتعدو خوفا من أن يساعد نفسا  
ربما كانت تلفظ آخر أنفاسها : إنه من العار أن يقال عن سيمون  
رفى طريقه ببائس فلم ينجده وملهوف فلم يفتبه » ثم قتل راجعا  
نحو ذلك الغريب المسكين واقترب منه فلم يفتبه اليه كأنما بلغ به  
الضعف الى درجة لم يمكنه معها أن يرفع جفنيه أو يدير عينيه

وتأمله فرآه فتى فى مقتبل العمر صحيح الجسم لا تشوبه الكلوم ولا تشوهه القروح ، ثم اقترب منه ثانية فتحرك الغريب وأدار رأسه الابيض وفتح عينيه القاترتين والى نظرة على وجه سيمون فكانت كافية لان تبعث فى قلبه الرحمة على ذلك الغريب وتملأ فؤاده رفقاً وحناناً على هذا البائس المسكين .

ثم البسه بعض ثيابه وأمره بالحركة حتى يتمشي الدم بين أعضائه وبدأ فى السير فاخذ سيمون يسأله « من أين أنت ؟ وما الذى حدا بك الى هذا المكان ؟ أطرقتك بوائق الاحداث أم هل وصلت اليك أيدي المسيئين حتى دفنت حيا بين طبقات الجايد المتجمدة ؟ فاجابه قائلاً « انى غريب عن هذه الديار ولم يسيء الى أحد ماولكنه عقاب الله حق على » فاجاب سيمون :

— يجب أيها الصديق أن تقابل ذلك بالرضاء والتسليم فالله رب الكل ، بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير . والآن أى جهة تقصد .

— « كل الجهات عندى سواء » ، فبدت على سيمون علامات الاندهاش لان الرجل لم تكن هيئته تشف عن خبث ولبيدل مظهره على أنه من السفلة — واستمر سيمون فى حديثه قائلاً : « هلم معى اذآ الى المنزل ريثما تدفىء نفسك قليلاً » ثم سارا سوياً وأخذ سيمون يهيم قائلاً : « إني ذهبت لشراء الغطاء فعدت الى منزلي بدون زيادة

على ذلك أحضرت معي رجلا عارى الجسد ! إن ماتروينا ( ١ )  
 ليغلى مرجل حقدتها عند ماتعلم ذلك « وكان كلما عاودته ذكرى  
 زوجته يطرق برأس عابسا ولكنه كلما تذكر حالة ذلك المسكين  
 ونظراته المؤلمة عاودته بشاشته وطفح ثغره فرحا وسرورا  
 أما ( ماتروينا ) فقد أنهت كل واجباتها المنزلية في ذلك الصباح  
 وجلست تفكر في زوجها وماعسى أن يكون قد فعل . وإذا بها  
 ترى رجلين مقبلين أحدهما سيمون والآخر غريب لم تعرفه فدار  
 بنخلدها لأول وهلة أن زوجها احتسى بعض كؤوس من الخمر وما  
 الآخر إلا من أعرافه السكيرين ، ثم بدأت تصخب ولكنها انتظرت  
 ريثما ترى ماذا يصنعان : دخل سيمون منكس الرأس خجلا ثم  
 تبعه صديقه الذى ظل واقفا صامتا لا يبدى حرا كما فلم تتردد  
 ماتروينا في أنه من السفلة الأشرار . أما سيمون فقد خلع قبعته  
 واستوى جالسا على أحد المقاعد كأن المياه مازالت جارية في  
 مجاريها ولم يحدث شيء يثير غضب زوجته ثم دعا صديقه ليجلس  
 بقربه ففعل ، ثم خاطبها قائلا :

« الآن ياهاتروينا قدمي لنا ما عندك من العشاء » فنظرت اليهما مشررا  
 وازداد حنقها وأجابته « إني أعددت كل شيء ولكن ليس  
 للسكارى الذين تلعب برؤوسهم الخمر فتخرجهم عن المألوف »

— « ماتروينا ! لا تكثري من تهديجك وضعي حدا لثرتك .  
يجب أن تعرفي أولاً من هو هذا الرجل » فاجابته : « إني لأشك في أنه  
من أبناء الحانة الشريرين . فقال : « كلا فانت مخطئة » فقاطعته قائلة  
وأين النقود فصمت سيمون فكان ذلك برهاناً زاد اعتقادها فيهما  
وداعياً قويا حرك فيها عواملي السخط فأخذت تقدح من عينيها  
شررا وتلفظ من فيها كلمات كلها مقت و غضب و حاولت الخروج  
إلا أنها كانت تود أن تقف على حقيقة أمر الغريب فخففت من حديثها  
قليلا وانتظرت . . . . ثم ابتدرته قائلة « اذا لم يكن هذا الرجل  
كما اعتقد فمن يكون ؟ »

هذا ما أردت أن أوقفك علي حقيقةته من بادىء الامر  
فاعلمى أنى عند ما وصلت الى المعبد فى رجوعى من القرية رأيت  
هذا الرجل جالسا بين طبقات الجليد المتجمدة لأنوب يكسيه ولا  
دثار يدفع عنه غائلة البرد فأشفقت عليه ودثرته كما ترين ثم آويته الى  
هنا ولولم يرسانى الله اليه فى تلك الآونة لربما قضى نحبه لوقته .  
فخففى من وطأة حديثك واعلمى أنها خطيئة كبيرة يا متروينا  
وتذكرى أننا سنسوت جيماً يوماً من الايام » فتمتمت ما تروينا  
ببعض كلمات يشتم منها رائحة الغضب والقت نظرة على الغريب  
وظلت صامته

— « ماتروينا ! ألا توجد فى قلبك عاطفة المحبة — محبة الله »

وما سمعت هذه الكلمات من زوجها حتى نظرت الى ذلك  
الضيف الغريب ثانية فشعرت بعاطفة الرحمة نحوه وقامت لوقتها  
وأحضرت البقية الباقية مما عندها من الطعام وقدمته لذلك المسكين  
الذي دفع ثمنه نظرة فائرة وابتسامة لطيفة عبرت عما في نفسه من  
الشكر والثناء . وبعد الانتهاء من اكله أخذت ماتروينا تميد الى  
مسامعه تنس الاسئلة التي سأله اياها زوجها من قبل فأجابها بمثل  
ما أجاب زوجها وختم اجابته بقوله: « ان زوجك دثرني وآواني وأنت  
أستيتني وأطعمتني فالله يؤتيكما خيرا » ثم باتا وأصبحا فسأله سيمون  
« ما الذي تمكنك أن تباشره من الاعمال ؟ » فأجابه « ليس بيدي  
صنعة ما » فاستمر سيمون في كلامه « إن من يريد ان يتعلم فليس  
من الصعب عليه ذلك » فأجابه « سأأتمم » فبدأ سيمون يعامه  
كل يوم درسا من صناعته وكان ميكائيل (١) سريع البديهة فما مر  
ثلاثة أيام ألا وكان يباشر العمل كأنه به منذ سنين عديدة . وبعد  
الانتهاء من شغله كان يجلس وعيناه للسماء لا يتكلم إلا عند الحاجة  
ولا يميل قط الى المجون والمزاح، قليل الابتسام، فلم يروه يبتسم الا  
مرة واحدة : عندما قدمت اليه ماتروينا العشاء في أول ليلة من  
ليالي حياته الجديدة !

كرت الايام ومرت الاعوام وميكائيل يشار على العمل، وواحلا

لياه بنهارده حتى ذاع صيته وعلت شهرته بين القرى والربوع  
المجاورة . وفي ذات يوم بينما هم جالسون في كوخهم واذا بعربة  
يجرها ثلاثة من الصافنات الحيات تنهب الارض نهبا وتتقدم نحو  
كوخهم الحثير وما هي الا بضع ثوان حتى رأوا العربة قد وقفت  
امام الكوخ وفتز منها سيد تلوح عليه امارات الشرف ومخايل  
النبيل ضخمة الجسم أحمر الوجه طويل القامة . فقام سيمون لوقته  
وفتح باب كوخه على سعته ثم وقف محميا ذلك الزائر العظيم منحنيا  
أمامه بكل تودة واحترام فقال السيد بكبر « من رئيس العمل في  
هذا الكوخ » فأجابه سيمون « أنا يا صاحب العظمة » ثم أمر  
الشريف خادمه أن يحضر الجلد فأتى به ووضع على خوان في  
وسط الكوخ وبعدئذ وجه السيد كلامه الى سيمون قائلا : « ألا ترى  
هذا الجلد » فأجاب : « نعم يا صاحب الشرف إنه في غاية الجودة » فقال  
الشريف بحدة « ياك من أبله أحمق ! أوتشك في ذلك ؟ إنه ذو قيمة  
عالية وأريد أن تصنع لي منه حذاء على شرط أن يمكنك حولا كاملا  
حافظا لرونقه وشكله . أتقدر ؟ فاضرب سيمون قائلا « نعم  
يمكنني يا صاحب النبيل » فصاح في وجهه ذلك السيد « يمكنك !  
تدبر . يجب أن تعلم لمن ستصنع الحذاء فان لم يكن كما أمرت  
سأودعك غيابة السجن ! » فانتفض سيمون فرقا وخوفا وتلعثم  
لسانه وهمس الى ميكائيل يطلب مساعدته في ذلك المأزق فأوماً اليه

برأسه علامة للرضاء فقبل سيمون العمل . ثم هم الشريف بالانصراف فودعه سيمون بمثل ما قابل به من التجلة والاحترام . ومما يجدر بالذكر ملاحظته سيمون أثناء وجود الشريف بالكوخ من أن وجه ميكائيل كان يتهلل بشرا وعينيه تتطلعان الى ما وراء السيد شاخستان الى تلك الجهة كأن امامه شبح أو طيف خيال، فكان ذلك موضع دهشة سيمون وعجب ماتروينا !

ثم قال سيمون لصديقه: « هيا ابدأ في العمل أيها الصديق وحذار من الوقوع في الخطأ فان السيد كما رأيت سريع الغضب » نبدأ ميكائيل في صنع الحذاء ولكنه أدهش بعمله ماتروينا اذ رأته يهيء الجلد ويخيطه لاعلى شكل باقى الاحذية ولكنه على شكل خفاف رقيقة فأسرت ذلك لزوجها الذي ما كاد يراه حتى اتولى عليه الذهول وابتدره قائلاً « ماذا تصنع أيها الرفيق ! أنت يامن مكثت معى حولاً كاملاً بدون أن تزل او تخطىء أتتترف في دقيقة واحدة أعظم الاغلاط . . . » وأراد أن يستمر في تأنيبه واذا به يسمع وقع حوافر جواد فصمت ورأى القادم فاذا هو خادم السيد يقول: « عموا صباها أيها الرفاق . إني أتيت لاجل الحذاء » فدهش سيمون وقال « نعم الحذاء ! فان سيدى ما كاد يفارقكم حتى فارقتة الحياة وأخرجنا من العربية جثة هامدة والآن فقد أرسلت لاعامكم أن تصنعوا هذا الجلد خفافاً للسيدة » فبهت

سيمون ثم تهلل وجهه وأقبل على ميكائيل يقبله فرحا مسرورا ،  
ثم أعطيا الخفاف للخادم فانصرف

مر العام إثر العام وميكائيل عايش الآن في السنة السادسة  
من حياته الجديدة لا ينطق الا عند الضرورة ولم تعل شفتيه الا بتسامه  
الامرئين في خلال هذه المدة الطويلة . وفي ذات يوم بينما هم قعود  
يشتغلون كل في عمله واذا باحد اولاد سيمون صرخ مخاطبا ميكائيل  
« عمهاه ! هيا انظر فان امرأة معها طفلتان مقبلة نحونا » فنظر  
ميكائيل من إحدى شرفات الكوخ فرأى سيدة معتدلة القوام  
حسنة الهندام يرافقها طفلتان تتقدم نحو الكوخ .

دخلت السيدة فقام سيمون مستقبلا اياها ومرحبا بها ثم سأها  
الجلوس فقعات وقال لها « إن السرور ليشماني اذا أمكنني القيام  
بما تأمريني به » فأمرت بعمل حذاءين للطفلتين فأجابها سيمون  
الى طلبها . وفي تلك الآونة نظر سيمون الى ميكائيل فرأى عينيه  
محدقتين بالطفلتين لا يحول عنهما نظره كأنه يعرفهما من قبل فدهش  
ولكنه لزم الصمت .

ثم ابتدأت ماتروينا تسأل تلك السيدة قائلة : « يظهر أن ابنتيك  
توأمتان » فأجابها « أجل انهما كذلك ولكنهما ليستا طفلتى  
ولا يربطنى بهما رباط صلة أو قرابة » فتعجبت ماتروينا وقالت « عجبا !  
انهما ليستا طفلتيك ثم مع ذلك تشفقين عليهما هذه الشفقة وتظليهما

باجنحة عظمك وحنانك ! « فماتت السيدة « وكيف لا أشفق عليهما وقد أَرْضَعْتَهُمَا مِن ثَدْيِي « ثم استمرت المرأة في الحديث وأخذت تسرد مجمل حكاية هاتين الطفلتين فقالت : « لقد اختطف المنون روح والديهما منذ ست سنين في أسبوع واحد فأودع الأب الرمس يوم الثلاثاء وعلى أثره بثلاثة أيام فاضت روح تلك الام وانتقلت الى دار الخلود . أما هاتان الطفلتان فقد ولدتا يوم الخميس الموافق لليوم الثالث من موت والديهما ولليوم الاول من ايام الاسبوع الذي تركتهما فيه امهما وديعة عند رب العالمين . مسكينة امهما ! فقد كانت فقيرة وحيدة ليس لها في الحياة من يأخذ بناصرتها ويقاسمها عزلتها وشقاءها . ومن ذلك اليوم — يوم الخميس — اصبحت هاتان الطفلتان اليتيمتان غريبتين عن العالم اجمع لا تربطهما باهله أو اصر الصلة او القرابة .

لقد كنت أنا وزوجي مقيمين في ذلك الحين في القرية وكانت تربطنا بالدي الطفلتين رابطة الجوار وقد ذهبت لازور تلك المسكينة في صباح أحد الايام فما كدت أخطو بضع خطوات حتى وجمت ذعرا وهالتي مارأيت ! نعم انها لساعة رهيبه مخيفه ! رأيت الام ملقاة على الارض فدوت منها فاذا هي جثة هامدة تعالو وجهها صفرة الموت وحوها طفلتان في المهبط تصيحان وتعولان كأنهما عامتا برزئهما فاخذتا تناديان امهما النداء الاخير وتسمعانها صوت

يكانهما قبل فراقها الابدى . . . وهكذا فى ساعة ولدتها وفى ساعة فتداها .

بعد ذلك انتشر الخبر فتقاطر القرويون الى ذلك الكوخ المشؤوم وغنوا بنجثة الفقيرة ووضعوها فى الكفن ثم واروها التراب وعيونهم دامعة وقلوبهم يدميها الحزن والاسى — انهم لقوم محسنون .

لم يكن الطفلتين نصير كما ذكرت فتكفأت بهما وتعمدت بتريتهما ولم يكن لى فى الحياة سوى طفل صغير اغتبطه الموت فكم كنت أشعر بالوحدة اذا لم يكن هاتان الطفلتان بجانبى وكم يزداد حبي لهما فهما زهرة حياتى ونضرتها »

وبعد أن انتهت من حديثها ضمت اليها يمينها احدى الطفلتين ومسحت بيسارها عبراتها المنسجمة فتتمهدت ماتروينا وقالت حقاً لقد صدق المثل القائل: «إن الانسان يمكنه أن يعيش بلا أب أو ام ولكنه لا يمكنه ذلك بدون رحمة الله »

ثم ساد السكوت وانبتق نور وضاء من الركن الذى كان فيه ميكائيل وأفار كأنه ضوء الشمس القوى فى الصيف فنظروا اليه فاذا هو جالس ويداه على منكبيه وعيناه تتطلعان الى السماء ووجهه يتلأأ وتغره يتسهم .

ما ذهبت المرأة بطفلتيهما حتى قام ميكائيل وانحنى أمام سيمون

وقال «الوداع : الوداع : فلقد غفر لي ربي ولم يبق الا أن اسألك  
عفوك ان كنت هفت أو أذنت ثم تلاً لآت غرتة وعلا وجهه غطاء  
نورى فانحنى أمامه سيمون قائلاً عفواً يا ميكائيل فانك لست بشراً  
سويّاً واننا ليس في قدرتي أن ارغمك على القيام عندي أو أتجاسر  
ان اسألك أكثر مما أريد أن تجيبني عنه الآن انك ابتسمت ثلاث  
ابتسامات فاشرق النور من محياك فخبيرني ايها الصديق عن سر  
ذلك الا ابتسام ومبعث هذا النور الوهاج فجاب ميكائيل : إن الله  
أرسلني لأتلم ثلاث حقائق وقد أتممتها فابتساماتي الثلاث مظاهر  
الفرح الذى ملأ قلبى . أما النور فانبعث منى لان الله غفر ذنبي وسامحنى  
فقال سيمون : ولم عاقبك الله؟ وما هى تلك الحقائق التى بعثت لمعرفة  
فجابته انى كنت ملكاً فى السماء فخالفت أمر ربي اذ ارسلنى  
لاقبض روح امرأة من عباده فهبطت الى الارض واذا بسى أراها  
مسكينة هزيلة قد وضعت لوقتها توأمتين فلما رأتنى فقمت كنه  
حقيقتى وعرفت أنى أتيت فى طلب روحها فأجهشت بالبكاء  
وبصوت تقطعه الغصات العميقة نوسلت قائلة : « أيها الملاك الطاهر  
رفقا بامرأة ضعيفة كسيرة القلب قتل زوجها وحرمت من كل  
نصير لها فى الحياة . أنا غريبة عن العالم أجمع فأمهانى ربما تترعرع  
هاتان اليتيمتان وبعدها أموت راضية مطمئنة . بربك لاتعجل  
ساعة يتمها حياة الطفل بأمه » فرجعت الى ربي وبلغته رسالتها

فأمرني أن أهبط ثانية واستل روحيا . وبعد أن أدت ماأمرت به أردت الصعود واذا باجنحتي تسقط وريح شديدة تصدني فوقعت بجانب الطريق . فعلم سيمون وما تروينا حقيقة هذا المخلوق الذي شلده بعطفها وحنانها طول هذه المدة ثم بكيا روعة وجلالا . اما الملاك فأخذ يقص قصته قال : « لقد هبطت الى الارض وانا لا اعرف مايعتري الانسان من حر وبرد فكادت اموت جوعا وكادت اعناني تصير قطعة من الجليد ولكنني لم أدر ماذا افعل ؟ ذهبت الى المعبد لآوى اليه فوجدته موصداً فجلست بجانبه واتكأت على جدرانه اتفاء من العاصفة الشديدة وبيننا انا كذلك أشعر بألم الجوع والبرد اذ مر على اول مخلوق ارضي وقعت عليه عيني منذ صرت رجلا أشعر واتألم . تمثلت امامي صورته فرأيت فيها قبيح النظر متجسما وظننت ان الله لم يخلق افظع منه شكلا فحوت بصري عنه . واما الرجل فما كاد يراني حتى استولى عليه الرعب وسار من طريق آخر حتى لا يمر بي فملا اليأس قاي ولكني مالبت أن رأيتته راجعا نحوي ونظراته تم عن حب كما من وعطف مستر فدثرني بشيابه وآواني الى منزله حيث قابلتنا زوجته وعيناها تقداحان شررا وغضبا ولكنها مالبت ان حفت من حدتها وعظمت على فقدمت لي الطعام وكؤوس الشراب واذ ذاك آمنت

الدرس الأول من دروسي وتعاملت احدي الحقائق الثلاث وهي :

ماذا يكمن في الانسان : فعلمت أنها الرحمة وحدها .

جاء السيد بعد ذلك بعام واحد قمر يعمل حذاء لا يبلى قبل مرور حول كامل ورأيت وراءه رفيقي ملك الموت فعلمت أن الشمس لا تغرب حتى تغرب حياة ذلك السيد واذ ذلك وقفت على سر الحقيقة الثانية وهي : ما الذي لم يحط به الانسان علما فعلمت أنها هاهيات نفسه وهنا ابتسمت ابتسامتي الثانية إذ لم يبق امامي الا الدرس الاخير وليس بيني وبين ملكوت السموات إلا فرج الله النهائي . ظلمت عائشا معكم انتظر مشيئة الله الى أن أتت التوأمتان فعرفت الطفلتين ولما سمعت كيف عاشا الى هذا الوقت وتذكرت قول أمهما « أن الطفل لا يعيش بدون رحمة أمه وعطفها عليه » تحققت بطلان هذه الدعوى ولما تساقطت الدموع من عيني تلك المرأة - دموع الرأفة والرحمة - وضمتها الى صدرها الممتليء عطفًا وحنانًا عرفت أن في قلبها عاطفة سامية هي عاطفة الرحمة

التي هي سر الحقيقة الاخيرة وهي : بم يعيى الناس

أنى لم أظل حيا لانى أخذت الحيلة لنفسى بل لان الله قيض لى انساناً منحنى بعض ما فى نفسه من ( الرحمة ) فشملانى هو وزوجه بعطفهما وحنانهما . كذلك اليتيمتان بقيتا تستشقان نسبات الحياة الى هذا الوقت لابعثنا امهما ولكن لأن عاطفة

الرحمة تحركت في قلب امرأة غربية عنهما فعنت بأمرهما وبكت من أجهما. فالعالم كله والناس أجمعون لا يعيشون في هذا الكون بمحض تدبيرهم وإرادتهم وبما يعملون لحفظ كياناتهم فحسب ولكنهم يعيشون بمحاطفة الرحمة التي أودعها الله في الإنسان فهي التي تحفظ فيهم حرارة الحياة .

« إن من يرحم فقد تقرب إلى الله لأنه هو الذي خاق فيه الرحمة »  
 وبعد أن أتم ميكائيل قوله غنى أنشودة إلهية فاضطرب الكوخ وخر سيمون وأهله مغشياً عليهم ، ثم فتح السقف من فوقهم وظهرت الاجنحة على ذراعي الملك ثم صعد عمود من الدخان الى السماء وهكذا ارتفع الملك الى عرش ربه . ولما تاب سيمون الى رشده وجد كوخه كما كان والنفت يمنة ويسرة فلم ير الا أسرته الاولى .



## الحكاية الثانية

« كم هو نصيب الانسان من الارض »

جانب الهوى      فالهوى طبع  
ذل من طمع      عز من قنع<sup>(١)</sup>

نهبط بالقارىء الكريم الى قرية صغيرة من قرى بلاد الروس  
وندخل به احدى اكوأخها حيث يرى سيدتين جالستين على مائدة  
واحدة تتناولان الشاي وتسامران . احدى هاتين السيدتين وهى  
الكبرى حضرية يشتغل زوجها بالتجارة وقد جاءت لتقضى بضعة أيام  
مع شقيقتها القروية الجالسة امامها، وبينما هما فى مسامرات لطيفة  
وحدث تسهى أدى بهما الكلام إلى المقارنة بين معيشة اهل  
الريف ومعيشة اهل المدن فاندفعت الحضرية تبين لشقيقتها نضارة  
الحياة فى المدن وما فيها من الترف والنعيم فى الأكل والملبس والمسكن  
ثم عدت لها صنوف الملاهى وضروب الرفاهة التى يتعمون بها،  
وتدرجت الى وصف اماكن اللهو ودور التمثيل والحدايق والمنزهات  
العامة التى يغشونها رياضة للنفس وترويحاً للخاطر . كل ذلك وشقيقتها  
القروية ساكتة لا تبدى ولا تعيد . لان تلك كانت قد افجمتها  
بذلاقة لسانها، الا انها تمكنت اخيراً من تغيير مجرى الحديث قائلة :

(١) من كتاب (مطلوب كل طالب) نظمها خيرة الشعراء المطبوع بمجدي  
افندى الجبالى . والكتاب قيد الطبع

انا قانعة بمعيشتي هذه البسيطة ولو خيرت بينها وبين معيشتكم لما فضلت سوى ما نحن فيه من بساطة ملؤها السعادة والهناء، لآراء في ان دخلك أو غير من دخلنا الا ان طراز معيشتكم يتطلب نفقات كثيرة قد تربو على الدخل ولا يخفى ما في ذلك من سوء العاقبة . فكم من عائلات غنية كانت بالامس ترفل في حلل الرفاهة والنعيم اصبحت اليوم بلا مأوى تسأل الناس قوت يومها فلا تجدد . اما نحن القرويين فقل ان يوجد بيننا من يعيش عيشة اهل الثراء ولكننا لا نعدم قوت يومنا على أى حال . فاجابتها الكبرى وقد امتلأت غيظاً :

— كفى يا عزيزتى بحق لك ان تقولى ذلك طالما تجددين لذة بمساكنة المجول والخنازير . ما ابعدم عن محبة اللطف والكمال أيها القرويون! بل ما ابعدم عن معرفة ما فيه صلاح معاشكم ومنعادم انكم تجهدون انفسكم صفاراً وكباراً، دائبين في العمل ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً ثم تموتون كما عشم فقراء لا تورثون اولادكم سوى النصب والشقاء .

فأجابتها الصغرى :

— حقاً ان ما نحن فيه من العيش جاف والعمل عندنا شاق إلا أنه لم تتسرب الى ربوعنا مفاسد المدنية ورذائلها بعد وأخلاقنا على سذاجتها خالية من شوائب الاهواء النفسانية ولذا

نعيش ما عشنا في هدوء وسلام . ولكن أنتم في مدنكم تعيشون في جو محاط بالمكر والرياء ، لا تأمن الزوجة فيه على بعلمها ولا يطمئن الرجل لزوجته . إذا بتم ليلة على وفاق لا تلبثون أن تصبحوا على شقاق . قد يأتي يوم على زوجك فتستغويه إحدى الغانيات - وما أكثرهن في المدن - فتفقدن اذ ذاك هناك العائلي ونعيمك المنزلي ، أو يوسوس له الشيطان بمعاقرة بنت الحان فيصبح من مدمنيها فيضل سواء السبيل ، أو يوقه الطمع الى موائد القمار وهناك البلية والدمار .

ثم غيرت المرأتان مجرى الحديث وخاضتا في حديث آخر خاص بالازياء وكانتا قد أمتا تناول الشاي فقامتتا تستعدان للنوم اذ كان النعاس قد أثقل أجنانهما .

أما رب المنزل ( ياهوم ) فكان جالسا على الموقدة يسمع حوار المرأتين طوال تلك المدة ثم ناجى نفسه قائلا : « حقا إن شقيقة زوجتي على حـق في بعض ما تقول ، فاننا القرويين نعيش ماعشنا في تعب ونصب ثم يموت الواحد منا كعاش دون أن يجني أقل ثمرة من عماله . آه لو كنت أملك قطعة صغيرة من الارض لكنت الآن هنيء البال قري العين لأخاف حتى رئيس الابالسة » . فسمع حديث نفسه ابايس وكان على سقربة منه فابتسم ضاحكا وقد عزم أن ينيله بغيمته ثم يورده موارد الهلكة من حيث أطمعه .

وكان بينهما بعد ذلك من الحوادث ما سوف نقرأ خبره في الفصول التالية .



أصبح ياهوم والطمع يقيمه ويتعمده ولاشم له الا امتلاك أرض يصبح فيها صاحب الكلمة المطلقة يأمر وينهى كما يريد . وكان بالقرب من الأرض التي يزرع فيها حبوبه قطعة فسيحة من الأرض لسيدة من ذوات الاملاك ، طيبة القلب لينة العريكة ، اعتادت أن تعامل جيرانها باللطف والانسانية ، الا انه عرض لها أمر ذوبال ألهاها عن تعهد الأرض بنفسها فوكلت أمر زرعها واستغلالها لوكيل أشغالها الذي كان على جانب عظيم من الخشونة وقساوة الطبع فأخذ يذيق ضعاف القرويين جيرانه من العذاب ويثقل كاهلهم بالغرامات التي كان يفرضها عليهم من حين لآخر . وقد حرص ياهوم كل الحرص على منع أسباب التحكك بجاره الغليظ الطبع ولكن رغم ما كان يبذله من الاحتياط والتحرز كانت بعض ماشيته تنسرب الى المزرعة ، فيقع بينه وبين الوكيل أخذ ورد ينتهي في الغالب بغرامة يتحملها المسكين طائعا صاغرا .

أقبل الشتاء برده القارس و ابيضت ذوائب الجبال وانكملت الماشية في زرائبها فازتاح بال ( ياهوم ) وعاش آمناً في سربه طول فترة الشتاء ، ثم شاع في القرية أن السيدة صاحبة المزرعة عزمت على

بيع أرضها صفقة واحدة وتلا هذه الأشاعة خبر مؤداه أن صاحب الفندق القائم على الطريق العالية يساومها في شراء المزرعة، فذعر أهل القرية لهذا الخبر وتوجسوا منه خيفة، لأن صاحب النزل كان أغلظ طبعاً من وكيل السيدة فجمعوا جموعهم وتشاوروا في الأمر، فقرر رأيهم على تأليف لجنة تقوم بشراء الأرض. فتألفت اللجنة وأرسلت من قبائها وفداً إلى السيدة المالكة لشرائها، فقبلت السيدة ولم تمنع، إلا أن الشيطان أوغر صدور بعضهم على بعض فتخاذلوا وفشلوا في مهمتهم وأخيراً عزموا على شراء المزرعة قطعاً بدل شرائها صفقة واحدة، وأن يساوم كل منهم سيدة الأرض في القطعة التي يروم ابتياعها. جرى كل ذلك وياهموم ساكت لا يحرك ساكناً ينظر والهاً إلى المزرعة وهي تباع قطعة قطعة إلى أن كان ذات يوم وقد سمع أن أحد جيرانه ابتاع من السيدة قطعة من المزرعة تبلغ الخمسين فدانا وقد دفع نصف ثمنها نقداً وتعهد بدفع الباقي أقساطاً لمدة سنة، فناجى نفسه يقول: «إلى متى أظل ساكناً والأرض تباع» ثم حدث امرأته بأماله وقد خاطبها قائلاً:

الآن ترى كيف أن أهل القرية يتهافتون على شراء المزرعة ونحن هنا لا نحرك ساكناً؛ كلا إن هذا لا يطاق يجب أن نسعى في شراء قطعة من الأرض ولو عشرين فدانا على الأقل سيما وأن الحياة أصبحت عبثاً ثقيلًا بمضايقة هذا الفظ وكيل السيدة.

ثم فكرا كثيرا في الامر وتصفحا كل وجوه الرأي وأخيراً قرأ رأيهما على الشراء ولم يكن عند باهوم سوى بضعة عشرات من الروبلات فباع مهرة كانت عنده وباع كذلك نصف ماله من خلايا النحل وبعض اثاث المنزل وأجرائين من أولاده في احدى المزارع لمدة عام، وأخذ أجرتهما مقدماً، ثم اقترض الباقي من احد انسابه فتوفر لديه جملة من المال يمكنه بها شراء قطعة صالحة من الارض . فذهب الى السيدة وسأومها في قطعة من الارض تبلغ الاربعين فداناً وفيها أجمة صغيرة . واتفق معها على دفع نصف الثمن فوراً وتهد بدفع الباقي اقساطاً على سنتين وحرر على نفسه وثيقة بالمبلغ .



تمت المبايعة وسجلات بحكمة البلدة ووضع باهوم يده على الارض ثم مضى العام وكان الحصول جيداً فوفى ما عليه من الديون وبذا أصبح يملك قطعة من الارض يجول النظر فيها على بقاع فسحة شتى الالوان كثيرة النماء ، وكان كلما مر بأرضه الجديدة رقص قلبه طرباً ونظر اليها بغير العين التي كان ينظر اليها من قبل . فعاش رديحاً من الزمن لا يعكر صفو حياته الا تسرب مواشي الجيران الى الحقل من حين لآخر . فلولا هذا المعكر لكان هناؤه أتم الا انه احتتم ذلك في مبدأ الامر واكتفى بتحذير أصحاب المواشي ، غير أن ذلك التحذير لم يجد نفعاً ، فعمد الى التقاضي وأدى به الأمر الى

مشاكل عديدة أحفظت عليه صدور أهل القرية ، فأخذوا يعادونه سرّاً وجهرّاً ويطلقون مواشيتهم ترتع في مراشيه عمداً بعد أن كانت تتسرب من نفسها على غير قصد . ثم هموا مراراً باحراق مسكنه وإيصال الأذى إليه بطرق مختلفة مما أدى إلى شدة البغضاء واتساع خرق العداة وبذا فقد هناءه القديم وأصبح مشغول البال لا يغمض له جفن ولا يبتأ له عيش

وشاع في ذلك الوقت أن هناك أراض زراعية جديدة عرضتها الحكومة للاستثمار وأن الناس من جميع القرى يهاجرون إلى تلك الأراضى . ففكر باهوم في نفسه وقال : « فليها حر من أراد من أهل القرية أما أنا فلا أبرح مكاني وسوف أنتهز هذه الفرصة لتوسيع ممتلكاتي فاشترى بعض الأراضى التي يتركها أصحابها »

وبينما كان باهوم يبنى النفس بهذه الآمال إذ نزل بضيافته قروي كان ماراً بعزبته فآكرم باهوم مشواه فسأله أين كان فآخبره القروي انه كان يشتغل في جهات ( الفولجا ) حيث الأراضى التي كانت تستعمّر حديثاً هناك وافضى به الحديث إلى وصفها والاطناب في خصوبتها وجودتها زاعماً أن الشيلم الذي يزرع في تلك الأراضى ينمو حتى يصير طوله أعلى من قامة الفرس ثم أتم حديثه قائلاً : إن أولياء الأمور هناك يتبرعون بخمسة وعشرين فداناً لكل من أراد استثمار تلك الأرض الخصبة وإن رجلاً من أهل قرية

باهوم حضر تلك الجهات حفر اليمين خالي الوفاض فاصبح الاذن  
يمالك ستة خيول ورأسين من البقر .

فقال باهوم في نفسه « ما الذي يمنعني من هجر هذه البقعة الضيقة  
الى تلك البقاع النسيحة حيث الريح الوافر والثراء العاجل وانى  
لا كون من الحمقى اذا لم انتبه هذه المرصعة الساخرة ولكن على  
أن اتحقق الامر بنفسى أولاً »

كان الوقت شتاء فقمعد ينتظر اوائل الصيف حتى اذا حل  
الربيع كان قد اتم معدات السفر فركب زورقا بخارياً أقله حتى سمارا  
ومن ثم قطع ثلثماية ميل على اقدامه حتى وصل المكان المقصود  
فوجد الارض كما وصفها القروى وعلم أن الفلاح المستثمر يعطى  
قطعة لا تقل مساحتها عن خمسة وعشرين فدانا وان هناك اراضى  
اخرى معروضة للبيع قيمة الفدان منها لا يزيد عن ثلاث روابل  
ففرح باهوم بهنبا الاستكشاف وقلل راجعاً الى قريته بعد أن  
تحقق صدق الخبر وما وصل اليها حتى شرع فى بيع ممتلكاته وتهيئة  
ما يلزم للهجرة هو و افراد العائلة .

وفى اوائل فصل الربيع سافر الى مقره الجديد وحط الرحال  
فى قرية كبيرة من قرى تلك الاراضى وكان حظه منها هو اولاده  
خمسة انصبة بلغ مجموعها ١٢٥ فدانا فى جهات متفرقة من القرية التى  
استوطنها اى اصعاف ما كان يملكه فى قريته الاولى فاصبح لديه

حقل واسع ومرعى فسيح ترتع فيه كثير من الماشية . ثم مضت ايام اشتغل اثناءها باهوم بتخطيط المزرعة وبناء العزبة وشراء الدواب اللازمة للعمل ولذا كان في مبدأ هجرته قانعا بحياته الجديدة فرحا بما رزقه الله الا انه ما كاد يتم ما شرع فيه حتى تساط عليه الطمع ثانياً فصار ينظر الى ارضه الجديدة بعين الاستصغار .

زرع في عامه الأول قمحاً فكان المحصول جيداً فطمع في الزيادة غير أن الارض لم تسمنه بطالبته لانها كانت تتفاوت في الخصوبة فلا تصلح جميعها لزراعة القمح فعمل على ايجار اراض اخرى تصلح لذلك ففعل الا ان ذلك لم يرق في عينه ايضاً فكان يشكو من بعد الارض وصعوبة النقل ففكر في نفسه قائلاً : لو كنت اشترى قطعة مستقلة خارجة عن نطاق المشروع فابني عليها ضيعة صغيرة لكان لي من وراء ذلك فوائد جمة » وكانت هذه الفكرة ماثلة بذهنه يفكر بها من حين لآخر . ثم سار على هذه الوتيرة وهو يستأجر أرضاً ويزرعها قمحاً مدة ثلاثة أعوام وكان الدهر موافقاً له فربح ارباحاً وفيرة لجودة المحصول الا أن ذلك كله ما كان ليقال من طمعه بل كان يزداد تدمراً كلما فكر في انال الذي يصرفه للمؤاجر . واتفق أن أجر في العام الثالث قطعة من الارض من بعض القرويين هو أحد التجار ثم وقع بينهما وبين أصحاب الارض منازعات أدت الى التقاضي وأسفرت عن خسارتهما

فتذمر باهوم وقال في نفسه « كل ذلك ما كان ليقع لو أن الارض كانت لي خاصة »

ومن ذلك الحين أخذ يبحث عن قطعة أرض للشراء فأوقعته المقادير في قطعة صالحة أراد صاحبها أن يبيعها عاجلاً تخلصاً من عسر أحاق به وكانت الارض تبلغ مساحتها ١٣٠٠ فداناً فصلاها باهوم بمبلغ ١٥٠٠ روبل يدفع نصف ثمنها فوراً ويكتب على نفسه وثيقة بالباقي . وقبل أن يتم البيع بأيام من عليه بعض التجار وطلب منه علماً لقرسه، فاحتفى به باهوم ودعاها الى تناول الشاي معاً وجلسا يتحدثان، فسأله باهوم من أين هو آت فأخبره انه آت من أرض بعيدة تابعة لقبائل البشكير حيث اشترى لنفسه هناك ثلاثة عشر ألف فداناً من الارض بمبلغ لا يزيد عن الف روبل فدهش باهوم واستزاده الخبر فقال الرجل « وما على المرء الا أن يتودد الى الرؤساء بهدايا فيهنجونه كل ما يطلب . وقد اشتريت لهم ملبوساً وسجادة وعلبة من الشاي وبعض النبيذ وهدايا أخرى كلفني مجموعها نحو مائة روبل وبهذه الوسيلة أكرمني الرئيس بأن تنازل عن ثمانية كوبكات في ثمن الفدان الواحد » قال ذلك وأخرج صك المبيعة يريه لباهوم وهو يقول : « ان موقع الارض قريب من النهر ومما يزيد اهمية انها بكر لم تستغل بعد، فافتن باهوم باقوال الرجل ولم يتمالك عن استزاده الحديث

والاحاف عليه بالسؤال فأجابه الرجل « ان هؤلاء القوم يملكون من الارض ما لا يقع تحت حصر ولا عدد وهم على جانب عظيم من السذاجة وبلادة الطبع ليس للارض عندهم أدنى قيمة » فأطبق خاتم الحرص على قلب ياهوم وناجى نفسه قائلاً « أنا الآن أملك ألف روبل فأى شىء يجبرنى على شراء قطعة من الارض مساحتها ١٣٠٠ فداناً بينما يمكننى شراء عشرة أضعاف هذا المقدار بنفس المبلغ دون أن أثقل كاهلى بالدين »

\* ————— \*

ولم يتردد ياهوم فى الامر لحظة واحدة بل ما كاد الرجل يفارق الضيعة حتى كان هو وخادمه على الطريق الموصلة الى قبائل البشكير ليتحقق الامر بنفسه وبعد مسيرة بضع ساعات حظ رحاله فى احدى القرى ليشتري صندوقاً من الشاي وبعض النبيذ وهدايا أخرى كما أوصاه الرجل ، ثم واصل سيره حتى انتهى الى مكان القبيلة بعد أن قطع مسافة لا تقل عن ثلثمائة ميل . فوجد الامر كما وصفه الرجل ورأى أن القوم يسكنون الخيام بالقرب من مراعى فسيحة يخترقها نهر عظيم وجل معيشتهم على اللحوم ومستخرجات الالبان ولا يعنون بزراعة الارض وغرسها مطلقاً ، والنساء هن اللواتى يقمن بكل الاعمال . أما الرجال فلا هم لهم الا الأكل وشرب الشاي والضرب على القيثارة وكلهم أقوياء البنية صحاح الاجسام يقضون فصل الصيف باللهو واللعب ولا يباشرون فيه أى

عمل من الاعمال وهم على درجة عظيمة من السذاجة وبلاد  
الطبع ولا يعامون من الروسية حرفاً واحداً وانما يتكلمون بلغة  
خاصة بهم، ومن عاداتهم الجميلة، اكرام وفادة الغريب، اذا ما كاد يقع  
نظرهم على ياهوم حتى خرجوا من خيامهم والتفوا حوله صغاراً  
وكباراً يتأملون وجهه وكان بينهم رجل يتكلم بالروسية فتوسط  
بينه وبين قومه وسأله عن قصده فأخبره ياهوم انه جاء ليصيب  
عندهم بعض الارض فقرحوا بذلك وأخذوا بيده الى احدى  
الخيام الكبيرة حيث اجلسوه على وسادة وثيرة وقدموا له أعز  
مالديهم من المأكول والمشرب وبعد الانتهاء من الطعام قام ياهوم  
الى عربته وأخرج ما كان لديه من الهدايا ووزعها عليهم بالتساوى  
فارتسمت على وجوههم امارات البشر والسرور، وأخذوا يتكلمون  
فيما بينهم مدة طويلة وأخيراً أشركوا الترجمان فى الحديث فالتفت  
هذا الى ياهوم وقال له : قدسر القوم من هديتك أيما سرور وهم  
يشكرونك كثيراً على هذا الصنيع ومن عاداتهم اكرام الضيف  
بكل ما فى وسعهم فاطلب ما تريده منهم لقاء هديتك فانهم لا يتأخرون  
لحظة واحدة عن اسعافك بمرغوبك « فأجابه ياهوم : « جل رغبتى  
هو أن أصيب عدكم قطعة من الارض لزرعها واستثمارها لان  
الارض عندكم خصبة للغاية » فأخبرهم الترجمان بما يقول فعادوا  
الى حديثهم ثانياً وكان ياهوم يجهل لغة القوم وانما رأهم يتسمون

ويضحكون ثم التفت اليه الترجمان قائلاً : يقولون انهم سوف يعطونك بكل سرور قدر ما تطلب من الارض فما عليك الا أن تشير بيدك الى قطعة الارض التي تريدنا لنفك فتكون لك « وما كاد الرجل يتم حديثه حتى قامت خيجة بين القوم فأل باهوم عن جليلة الامر فأخبره الوسيط أن القوم قد انقسموا الى فريقين فريق منهم يريد ألا يبت في الامر حتى يحضر الرئيس وآخرون يخالفونهم في الرأي

-----

و بينما هم في جلبتهم وضوضائهم اذا برحل ضخم الجثة عريض الاكتاف يلبس قبعة كبيرة من فرو الذئب قد دخل من باب الخيمة فوجه القوم وسكتوا كأنما على رؤسهم الطير وقد قاموا اجلالاً لشأن القادم واكباراً لأمره فأخبره الترجمان ان القادم هو رئيس القوم فقام باهوم مسرعاً وأحضر له نصيبه من الهدية وهي خمسة أرطال من الشاي وبعض الثياب النفيسة فتقبلها الرئيس شاكراً وجلس في صدر المكان والتف القوم حوله يحدثونه بشأن باهوم فأشار اليهم بالسكوت ثم التفت اليه يخاطبه بالروسية : « اخبرني القوم بشأنك وما كنت لا رد لك طلباً فأخترت المظعة التي ترضاها لنفسك فان لدينا كثيراً من الارض كما ترى « فقال باهوم في نفسه « كيف اقبل منه ذلك بمجرد القول بلا قيد والاشراط الا يجوز انهم يندمون في المستقبل فيرجعوا ما وهبوا لي من الارض !! » ثم خاطب الرئيس

قائلاً : « اقدم لكم جزيل الشكر على هذا الاكرام ولكن ألا يجدر بنا أن نستوثق الامر بحجة أو سند فان الاعمار بيد الله والمرء لا يأمل ان يتخذ طول الدهر الا يجوز أن يأتي بدمكم خلف لا يرضى بعمالكم فينازعنا في الارض » فأجابه الرئيس : « انك محق فيما تقول وسوف يكون الامر كما تريد » فقال باهوم « بلغني ان احد التجار اشترى منكم من عهد قريب قطعة من الارض وأخذ عليك عقداً بالبيع وانا احب أن تعاملوني بمثل معاملته »  
 فأجابه الرئيس حياءً وكرامة عند ما يتم الاتفاق فكتب عقداً بذلك ثم نسجه في محكمة البلدة .

فسأله باهوم . « وكم يكون الثمن » : فأجابه الرئيس بقوله : « ان الثمن عندنا محدد لا يتغير فانا نأخذ الف روبل عن اليوم (الكامل) فلم يفهم باهوم ماذا اراد بقوله اليوم الكامل فسأله مستفهماً . « ماذا تعنى باليوم الكامل وكم فداناً يكون » فأجاب الرئيس : . « نحن لا نستعمل ابقاييس في مسح الارض وانما تقدرها بالسبر فيها يوماً كاملاً ونحن الارض التي يقطعها المرء مشياً على اقدامه يوماً كاملاً هو الف روبل » ففرح باهوم وصاح قائلاً :  
 « ولستكنني اقطع في اليوم ارضاً كبيرة للغاية » فأجاب الرئيس « كل ما تسير على قدر جهدك يكون ملكك على شرط الرجوع قبل غروب الشمس فاذا غربت الشمس ولم ترجع تخسر جميع ما تدفعه من المال » فقال باهوم : « ولكن كيف السبيل الى معرفة الارض التي اقطعها ؟ » فأجابه قائلاً :

— ان ذلك سهل ميسور عليك ان تختار لنفسك بقعة من الارض تسير منها . وعند كل ثنية من الارض تحفر حفرة صغيرة تجعل بجانبها كومة من التراب بفأس صغير يكون معك لهذا الغرض وعند الانتهاء نصل نحن تلك العلامات بحراثة دائرة الأرض التي تقطعها في اليوم ولك مطلق الحرية في أن تسير في الأرض كما تريد على شرط الرجوع قبل غروب الشمس .

فارتاح لذلك باهوم وقرر أن يبدأ في السير صباح ذلك اليوم ثم اكملوا يومهم في الحديث والمناذمة حتى اذا اقبل الليل فرشوا له فراشاً وثيراً وتركوه في الخيمة لينام فيها ليلته بعد أن وعده الرئيس بأن يوافيه صباحاً قبل بزوغ الشمس

— . . . —

رقد باهوم طول ليلته وهو يبني لنفسه القصور والعالى متقلباً على فراش الأمانى والأحلام دون أن يفهم له جفن أو يكتحل بتوم وقبيل الفجر أخذ التعب منه ، فأخذه وقد تغلب عليه النعاس فأخذته سنة من النوم ثم رأى فيما يراه النائم أن الرئيس اقبل عليه ينتظره على باب الخيمة فخرج اليه يسأله عن جلية الأمر فوجد أن القادم ليس الرئيس وإنما هو الرجل التاجر الذي أرشده الى أراضي البشكير فتقدم منه وقد هم أن يسأله متى حضر واذا به يرى في وجهه صورة الرجل القروي الذي اقبل اليه في قريته

الأولى من جهة الفواجا ففهم أن يضافه ويترحب به واذا به يرى في وجهه صورة ابليس اللعين في شكل بشع ومنظر مرعب فأشاح بوجهه الى جهة أخرى فرأى جثة انسان ملقاة على مقربة منه فاقرب من الجثة ليتأمل وجه صاحبها ولكنه ما كاد يقرب منها يضع خطوات حتى ارتد مذعوراً لأنه رأى فيها صورة نفسه . ثم قام من نومه وهو على هذه الحالة تمتقع اللون ترتعد فرائصه فرقاً ونظر الى باب الخيمة فلم ير غير حجرة الشفق فعلم أن ستر الليل أوشك أن يتمزق فلا يمضي القليل حتى يسفر الصباح عن وجهه المنير فقام وهو يقول : « ما أكثر ما يرى الانسان في نومه لاشك ان مارأيته هو أضغاث أحلام . وها قد قرب الصبح والقوم نيام بعد » ثم ذهب مسرعاً نحو خادمه الذي كان نائماً في العربة فأيقظه وأمره بالاستعداد ثم أسرع نحو القوم يوقظهم فصاح القوم واجتمعوا في خيمته ولم يلبث ان وافاهم الرئيس وكانت الشمس قد قاربت البروغ فامر باحضار طعام الافطار وعرض على باهوم تناول بعض الشاي فأبى قائلاً : « لم يبق متسع من الوقت فلنبدأ بالعمل ان كنا فاعلين »

\*\*\*

عند ذلك وقف القوم استعداداً للمسير ثم ركب بعضهم العربات وامتطى آخرون متون الجياد وركب باهوم عربته وسار في طليعة القوم مع الرئيس وبعد أن ساروا قليلاً وصلوا الى تل صغير يشرف

على سهل فسيح الأرجاء وكانت الشمس قد بدأت في البروغ فوقف القوم وتقدم الرئيس قائلاً وقد أشار بيده الى السهل : « انظر كل هذا السهل المسيح ملك لنا ولك أن تسير فيه أنى تشاء » وبعد أن قال ذلك خلع قبعته ووضعها على الارض قائلاً : « فلتكن هذ القبعة علامة لمبدأ سيرك فابتدىء في السير من هنا ثم ارجع اليها ثانية بعد أن تم دورتك وكل الارض التي تمشى بها تكون ملكك »

ولم يتمالك باهوم من اظهار الفرح والسرور عند مارأى ذلك السهل المسيح وتيقن انه خصب يصلح لزراعة كل أنواع الحبوب ثم أسرع من وقته فوضع مالم يد من النقود وهو الالف روبل في قبعة الرئيس ثم طرح رداءه الخارجى وشمر عن اكمام قميصه ليكون خفيف الحمل في السير وتمنطق بسير من الجلد شده على وسطه وحمل على ظهره حقيبة صغيرة فيها بعض الزاد وما يلزم لشربه ذلك اليوم ثم أمسك بالفأس والتفت يمنة ويسرة ليختار له وجهة السير وبعد أن وقف برهة ناجى نفسه قائلاً : كل الارض سواء ولكن يحسن بي أن أسير نحو الشرق » قال ذلك وحمل فأسه على ظهره وسار يتبع مشرق الشمس .



وبعد أن قطع نحو ألف ياردة وقف قليلاً حفر الارض ثم

جعل بجانبها كومة من اقتراب علاءة لوصوله تلك البقعة وكان  
يمشى مشيته الاعتيادية لايمهل ولا يعدو فقطع بذلك ألف ياردة  
أخرى وجعل علاءة أخرى ثم مشى قليلا ونظر الى التل حيث كان  
القوم فلم يتبينهم جيدا لانه كان قد ابتعد عنهم كثيرا بمسافة لا تقل  
عن الثلاثة أميال كما قدرها باهوم في نفسه وكان الوقت حتى فابتدأ  
يشعر بحرارة الشمس فقال في نفسه : « قد قطعت ربع ما يجب أن  
أقلعه في اليوم وعلى أن أتم المربع في باقى اليوم ولكن لا يزال أمامى  
متسع من الوقت » قال ذلك وخاض نعليه وربطهما في وسطه ليرتاح  
فى المشى ثم سار فى وجهته الأولى وكان كلما سار وجد الارض أخصب  
والتربة أجود. فقال فى نفسه : « إنه من الحمق ترك هذه البقعة الخصبة  
مأعلى لوسرت ثلاثة أميال أخرى » . فسار فيها وقد جدد الحرص  
فى نفسه همته الأولى حتى اخذ التعب منه مأخذه فنظر واذا بالشمس  
فى كبد السماء فعلم أن النهار قد انتصف فوقف ريثما جعل علاءة  
لوصوله تلك البقعة ثم جالس للغداء فأكل بعض الزاد وشرب قليلا  
من الماء وانتصب واقفاً وهو يقول : « يجب أن أسير لان الراحة  
تجلب النعاس واذا غمت قليلا لا آمن من الخسارة » فسار من وقته  
وقد أراد أن يعطف الى وجهة أخرى تماما للمربع غير أنه أبصر  
على مقربة منه أرضاً منخفضة فقال فى نفسه : « هذه الارض تصلح  
لزراعة الكتان وما كنت لا ترك هذه الفرصة » قال ذلك ومشى

حولها حتى اذا ما أتم مسيره وقف عند نهايتها وجعل علامة لوصوله تلك البقعة أيضاً. ثم نظر الى التل فرأى أن حجمه قد صغر جداً فعلم أنه قطع كثيراً وأنه إن لم يسرع في الرجوع خسر كل آماله . فأسرع لوقته وهو يقول : « ان الارض التي قطعتها بالنسبة بين طولها وعرضها اذ أن الطول سوف يربو كثيراً على العرض ولكن رغم ذلك فقد أصبحت أملك قطعة فسيحة من الارض » ثم وقف برهة يحفر الارض بسرعة زائدة لتكون علامة وصوله تلك الجهة وبعد أن أتم عمله انعطفت نحو التل يريد الرجوع مسرعاً الا أن كثرة المشى وشدة الحر انهكتا قواه فصار يحشى بصعوبة ويتهادى في مشيته كالشيخ الضعيف بعد أن كان يهزول . أما قدماء فقد تشققا وسالت الدماء منهما لكثرة ما اصطدم أثناء مشيه بالحجارة والحصى وهو لا يعي وتخاذل ساقاه وضعفتا عن حملاه اذ كان في حاجة شديدة الى بعض الراحة ولكن أفي له ذلك والشمس آخذة في الغروب شيئاً فشيئاً وكان ماعليه من الحمل يضايقه كثيراً فرمى حقبته أولاً ثم نعليه وخلع بعد ذلك صدرته وهكنا صار يرمى ماعليه من الملابس حتى ما يبق عليه سوى المبيض والسر وال وأمسك بيده الفأس ليتوكأ عليه وسار يعدو بكل قواه واستمر مدة على هذه الوتيرة ثم نظر الى الشمس فعلم أنها لا تلبث أن تغرب ففرغ لذلك كل الفزع وقال في نفسه : « رباه ماذا العمل يخيل لي أن الطمع

سيفسد على كل أمالي « غير أنه ما لبث أن تشجع قائلاً : « عار على أن أرجع عن عزمي فاتقاعد عن السير بعد أن قطعت هذه الشقة الطويلة » فجمع نفسه وسار يمشى بكل قوته حتى قارب التل فسمع صياح القوم من بعد فتشجع ثانية وأخذ يعدو بكل ما فيه من قوة وعزم وكانت الشمس قد قاربت الغروب فلا تمضي بضع دقائق حتى تختفي عن الأنظار إلى ما وراء الشفق الأحمر، إلا أن باهوم كان في ذلك الوقت علي مسيرة بضع خطوات من سفح التل يسمع صياح القوم ويميز أصواتهم ويرى قبعة الرئيس عند ذلك تذكر ما رآه في الحلم فقال في نفسه : « حقاً إن الأرض التي قطعها فسيحة الأرجاء بعيدة المدى ولكن هل كتب لي في لوح المقدور أن أعيش عليها » ثم عاد فتذكر أنه علي قيد خطوات من مبدأ مسيره وأنه ما عليه إلا أن يجمع عزمته ثانية فيوصل إليها ويملك الأرض. فجددت هذه الأمان في نفسه ميت الأمل فسار طوراً يتهدى كالشيخ الضعيف وتارة يحبو كالطفل الرضيع حتى وصل سفح التل عند ذلك نظر وإذا بالشمس قد غربت وأصبح السهل في ظلام حالك فتقطعت نياط قلبه وصاح يقول : « أواه قد ذهبت أتعابى أدراج الرياح » إلا أن القوم لم ينقطعوا عن صياحهم وندائهم فتذكر أن مكانهم أعلى من مكانه لأنه مازال في سفح التل وأن الشمس لا تزال ظاهرة لديهم فتتنفس الصعداء وجمع كل ما لديه من قوة وعزم وأخذ

يصعد التل فوصل القمة وكانت الشمس لا تزال ظاهرة لديهم ثم عاد  
فتذكر ما رآه في الحلم فصرخ صرخة مزعجة وارتدى على الأرض  
بالقرب من قبعة الرئيس وقد وضع يده عليها . فقال الرئيس :  
« انه سعيد الحظ فقد أصاب قطعة كبيرة من الأرض » ثم أسرع  
خادم باهوم ليرفعه عن الأرض ولكنه ما كاد يرفعه قليلاً حتى  
سال الدم من فمه وارتدى على الأرض جثة هامدة . فوجم القوم  
وأطرقوا برؤسهم إلى الأرض وقد ارتسخت على وجوههم أمارات  
الكآبة والحزن .

وقام خادم باهوم فخفر لسيده قبراً يبلغ طوله ستة أقدام  
وكان ذلك كل نصيبه من الأرض



## الحكاية الثالثة

ابن العراب

كف الاذى عن بني الدنيا وكن رجلاً يتبه في حلال التقوى ويختال  
فما أعز من التقوى ولو جمعت يملك في الناس بالخيرات تنهال  
محمود الجبالي

بسم الدهر ذات صباح لقروى فقير فرزق طفلاً فرح به فرحاً  
شديداً وعلق عليه آمالاً كبيرة وأسرع لوقته نحو جاره العزيز  
مستبشراً فأخبره بالأمر وطلب منه ان يكون عراباً للطفل. ولكن  
جاره العزيز أنف من ذلك وردد خائباً. فانصرف المسكين يتعثر  
بأذيال الخيبة والفشل وقصد جاره الثاني فالثالث ثم الرابع وهكذا  
حتى طرق ابواب القرية على غير جدوى لا لذنبا اتاه أو لجرم  
اقترفه سوى انه فقير معدم.

أظلمت الدنيا في وجهه أثر هذه الصدمة الشديدة فسخط على  
الدهر وتبرم من جده العاثر ثم خرج من قريته مولياً وجهه شطر  
القرية المجاورة بغية أن يجد فيها من لا يأنف من أن يكون عراباً  
لمولود فقير فسار المسكين (في طريقه) تتناوبه الاحزان وتتقاسمه  
الهموم والاشجان لا يلوى في طريقه على شيء.

وما كاد يبلغ نصف الطريق حتى استوقفه رجل طارحه السلام  
وسأله عن وجهة مسيره. فأخبره بما وقع له ذلك اليوم ثم ختم

حديثه قائلاً : واني الآن ذاهب الى القرية المجاورة عساني اجسد رجلاً لا يأنف من ان يكون عراباً للطفل . فبتسم الرجل المجهول . وقال انا اكتفيك مؤونة البحث والتعب دعني اكون عراباً لولدك . ما سمع القروي المسكين هذه الكلمات اتى نزلت على قلبه برداً وسلاماً حتى تهال وجبهه بالبشر وتمم بعض كلمات بشكر بها معروف الرجل . ولكن عاد فعبس ثانية كمن تذكر امرأاً فاتته فقال وصوته يتهدج حزناً :

آه يا مولاي لم تنفرج الازمة بعد . قل لي بربك . اين اجدا امرأة طيبة القلب نظيرك تقبل أن تكون عرابته

لا تحزن يا صاحب فأنا ارشدك الى امرأة صالحة تقبل ذلك عن طيب خاطر . اذهب الى المدينة وهناك في الساحة العمومية تجد منزلاً مبنياً بالآجر في مدخله حانوت فاسأل عن صاحب هذا الحانوت وعندما تقابها أخبره بالأمر واطلب منه ان تكون ابنته عرابة لولدك فانه لا يردك خائباً .

فهز القروي كتفية بيأس كمن يرتاب في أمر لا يرجوه ثم خاطب الرجل قائلاً :

أمثلي يطلب من تاجر غني أن تكون ابنته عرابة لابني لا ريب في أنه سوف يهزأ بشأني ويزدريني اذا تجاسرت على مثل هذا الطلب فأجابه الرجل بملء السكينة .

لا تدع اليأس يتطرق الى قوادك بل كن واثقاً بأنه سيجيب طلبك فاسرع يا عزيزى قبل فوات الوقت وغداً صباحاً تجدنى حاضراً فى حفلة التنصير فقم القروى راجعاً الى قريته وامتنى فرسه وقصد المدينة يبحث عن حانوت التاجر وعند ما اهتدى اليه وترجل عن فرسه قابله التاجر بوجه باش وسأله عن حاجته فاجابه والخجل يكاد يعقد لسانه :

اعلم يا سيدى انه ولد لى فى هذا الصباح طفل وقد جئت ارجوك ان تتفضل بأن تكون ابنتك عرابته . فسأله التاجر ---  
ومتى تكون حفلة التنصير  
غداً صباحاً

حسن سوف تكون ابنتى عندك غداً فاذهب مطمئن البال .  
وفى اليوم الثانى حضر الرجل المجهول وحضرت ابنة التاجر .  
وبعد أن اتم السكاهن تنصير الغلام انصرف الرجل المجهول ولم يعلم عنه شيئاً بعد ذلك اليوم

\*\*\*

مضت أيام وشهور كبير أثناءها الطفل وترعرع فأدخله والداه مدرسة القرية فتعلم فيها كل ما يمكن أن يتعلم وخرج منها شاباً متين العضل قوى البنية تلوح على وجهه أمارات الجد والاقدام .  
جاء عيد الفصح فأشرقت منازل القرية وأكواخها بالأنوار

وخرج القرويون زرافات ووحدانا وعلى وجوههم سيماء البشر  
وأمارات السرور. أما طفل الأمس وفتى اليوم فكان يسير وحيداً  
منفرداً مبتعداً عن الضجيج يفكر في عرابه المحبوب ذلك الرجل  
الطيب القلب الذى رضى بكل أرتياح أن يكون عراباً له فى الوقت  
الذى أنف أهل قريته من هذا الأمر. ثم ناجى نفسه قائلاً :

آه لو استطعت مقابلة ذلك الرجل الطيب إذن لكنت أوقف  
كل حياتى على خدمته واحترامه . ما كاد يصل من حديث نفسه  
ألى هذا الحد حتى التفت الى يمينه وأذا به يرى شيخاً يدب على  
عصاه تلوح عليه الهيبة والوقار وكان يدنو منه باسماء وهو يقول .  
— تقدم يا بنى ولا توجل أما كنت منذ هنيهة تحدث نفسك

مستفهما عن مقر ذلك الرجل الذى رضى أن يكون عراباً لك فى  
طفولتك . فهذه المفادير جمعتك به لتقدم له تحية عيد الفصح .

عند ذلك ارتبك الشاب لهذه المباغته ولكنه سرعان ماتمالك  
نفسه وتقدم الى الرجل باسماء وشكره على معروقه السابق وقدم  
له تحية العيد بأن قبله ثلاثاً كماهى العادة ثم خاطبه قائلاً :

— كم أكون مسروراً ياسيدى اذاشرفتنى بمعرفة اسمك  
ومكان اقامتك لاقوم نحوك بمايجب لابن نحو عرابه .

— لاسبيل الى معرفة اسمى اذلايهمك ذلك وأما اذا رغبت  
أن تعلم مكان اقامتى فما عليك إلا أن تذهب غدا الى هذه الغابة

المجاورة وتمشى فيها حتى ينتهى بك المسير الى ساحة صغيرة محاطة  
بالاشجار الباسقة فتقف في ذلك المكان قليلا تتأمل ما حولك  
فترى طريقا ينتهى بك الى قصر شاهق تحيط به حديقة غناء هذا  
هو منزلى وفي فناء هذا القصر تجدنى فى انتظارك. وما وصل الرجل  
من حديثه الى هذا الحد حتى رفع الشاب رأسه ليتأمل وجه  
عرايه جيدا واذا به لا يرى أمامه سوى الحقول الخضراء وعلى  
بعد منه يسمع ضجيج أهل القرية فى سرورهم وابتهاجهم بالعيد .  
فقفل راجعا وهو كمن فى حلم لا يصدق ما رآه وأزمع المسير الى الغابة  
صباح ذلك اليوم ليتأكد صحة ما سمعه ورآه

\*\*\*

ما كادت الشمس تشرق حتى كان الشاب فى طريقة الى الغابة  
يعدو فى مشيته ونفسه تنزع الى معرفة سر الرجل حتى اذا انتهى  
به المسير الى الساحة التى وصفها له عرايه وقف يتأمل برهة فرأى  
طريقا غاية فى الابداع تحف به الاشجار على كلا الجانبين وينتهى  
بقصر شاهق محاط ببستان جميل يتلأأ فى تلك البقعة المنصورة  
تلاؤ الكوكب المنير .

عند فناء هذا القصر البديع قابله عرايه بوجه باسم ومشى به  
الى الحديقة أولا ثم القصر ثانيا متنقلا به من جهة لآخرى يريه  
مقاصير القصر ويطلععه على محتوياته وكان كلما مشى خطوة زاد

تعجبه من محتويات القصر وفرشه الثمين الى أن انتهى بهما المسير الى غرفة مقفلة فوق العراب امامها وأشار اليها قائلاً: « قد انتهينا الآن من طوافنا وقد اطعمتك على كل ما في القصر ولك أن ترح فيه كيف تشاء وانى شئت ولكن حذار أن تدخل هذه الحجرة» وما كاد العراب يفرغ من كلامه هذا حتى اختفى عن الاضطر ولم يظهر له أثر بعد ذلك . فمضى الشاب ردحا من الزمن وقد طابت له السكنى في القصر فعاش هنىء البال قرير العين مدة تقرب من الثلاثين عاما مرت عليه كحون واحد لا غتباطه وسروره .

مرت عليه تلك المدة الطويلة وهو في مقام كريم وعيشة راضية ثم تسرب اليه الملل شيئاً فشيئاً فأفصار بطوف القصر طول يومه يبحث عن شيء جديد يسلى به النفس واذابه واقف ذات يوم امام الغرفة المقفلة ثم تذكر وصية عرابه فتنازعه عاملان عامل الفضول وعامل احترام الوصية . وأخيراً تغلب عليه الفضول ففتح الباب ثم ولج الغرفة وتقدم فيها بضع خطوات فرأى نفسه في بهو فسيح يتوسطه عرش كبير يصعد إليه المرء بوضع سامات فتقدم نحوه ورفقه ثم جلس يتأمل ما حوله فوقع بصره على صولجان بديع الصنع بالقرب منه ثم إليه يده ليمسكه وما كاد الصولجان يستقر بين أصابعه حتى سمع ضجة وجلبة وأذا بأركان الغرفة تهتز ثم ارتفع جدران البهو فنظر واذا به يرى العالم اجمع منبسط أمامه

وهو ينظر اليه من عل . نظر امامه فرأى البحار والمحيطات تمخر  
فيها المراكب وتشق عبابها السفن ثم التفت يمنة فأبصر عوامل غربية  
وأجناساً مختلفة من البشر يخالفونه في الشكل واللباس ثم ادار  
وجهه الى جهة اخرى فرأى اناساً يقار بونه في شكلهم ولباسهم يتكلمون  
بلغة يفهمها فعلم انهم روسيون مثله فتهاى وجهه وحدثته نفسه  
أن يبحث عن أهله وقريته ليقف على احوالهم فأنعم النظر يبحث  
عن قريته بين مئات القرى وما كاد يهتدى اليها حتى خطر بباله أن  
يتفقد حقل والده فصوب نظره نحو الحقل فرأى أكداس الحصيد  
منتشرة في طول الحقل وعرضه على اهبة النقل ثم ابصر رجلاً  
يتسلل الى الحقل بعربته فظن أن والده جاء ليلا ليحمل الغلال الى  
مخازنه ولكنه لم يكده يتبينه حتى علم انه ( واسيل كوندراشوف )  
جاء متستراً بانواب الليل ليسرق بعض القمح . وعند ذلك  
انتفض الشاب غضباً وصاح باعلى صوته : قم ياأبت فأن اللص يسرق  
القمح من مزرعتك . وكان الوالد ذاك نائماً على بعد من المزرعة  
فقام من فورده ينفض عن نفسه غبار النوم ويناجي نفسه قائلاً : « قد  
نبهنى صوت هائف يقول أن لحداً يسرق الحنطة من الحقل فسوف  
اذهب الى هناك لاتحقق الأمر بنفسى » قال ذلك وامتطى فرسه  
ثم اسرع للحقل وهناك رأى اللص ( واسيل ) فأمسك بخنقه وساقه  
الى السجن

عند ذلك اطمأن بال الابن وصوب نظره الى مدينة القرية  
ليتفقد حال عرابته ابنة التاجر فعلم انها تزوجت من رجل تاجر ثم  
نظر فرآها نائمة ورأى زوجها قد قام الى الباب متسللاً ثم خرج  
يمشي في طرقات المدينة ليلاً فاتبعه النظر فرآه قد دخل عند امرأة  
أخرى علم انها خليلته ذهب اليها في تلك الساعة من الليل ليخون  
امراته فاستفز غضب لهذا الامر وصاح بعرابته ينبهها قائلاً :

« ألا انتبهى ايها العاقله فان زوجك يسلك طريق الغواية »  
فقامت المرأة من نومها فزعة وتامست مكان زوجها فلم تجده  
فتحققت صدق قول الهاتف فلبست ثيابها مسرعة وذهبت تبحث  
عنه الى أن اهتدت اليد وهو بين احضان خليلته فشب بينه وبينها  
عراك عنيف ورجعت الى بيتها مغضبة بعد أن أوسعت زوجها اشتما  
وتوييخاً.

عند ذلك اطمأن بال الشاب وخطر بباله أن يتفقد حال امه  
فصوب نظره نحو البيت فأبصر اصماً يحاول كسر الصندوق الذي  
اعتادت أمه أن تضع فيه امتعتها ووجد امه نائمة بالغرفة المجاورة  
ثم نظر فرآها قد استيقظت على أثر صوت الكسر ورأى أن اللص  
قد امسك يمينه فأساً يريد ان يهوى به على رأس امه ليقتلها . فلم  
يتسالك الولد أن هوى بالصولجان على رأس المص فوق لساعته قتيلاً  
عند ذلك اهتز أركان العرش وسمع صوت الجدران تنزل ثمانية

ثم نظر واذا بالغرفة قد عادت كما كانت وبعد رهة فتح الباب ودخل  
عرابه متقدماً نحو العرش فأخذه بيده وأنزله منه وهو يقول:

« ها أنذا أراك قد خالفت امرى وارتكبت معصية الدخون الى  
الغرفة رغم تحذيرى أياك ثم اتبعتها بخطيئة أخرى عندما علوت  
العرش وتداخلت فيما لا يعنك وأخيراً ختمت هاتين المعصيتين  
بجرم افطع اذ قتلت نفساً بشريه ولو تسنى لك أن تتمكث هنا  
انصف ساعة أخرى لكنت تتلف نصف العالم »

قال الرجل هذا القول وأمسك بيد الشاب وقاده ثانية الى العرش  
وقبض بيده علي الصولجان فرتفع الجدران ثانية وانكشف العالم  
أما مبهما مرة أخرى ثم أشار العراب بيده قائلاً : « انظر ماذا  
قدمت لوالدك من أساءة كنت تظنهما مكرمة . هاهو واسيلي اللص  
قد أمضى سحابة عامه بين جدران السجن مهد الشر والموبقات  
فازداد غلظا وشراسة وكانت فائحة شروره بعد خروجه من السجن  
أن سرق فرسين لوالدك وهاهو الآن يضرم النار في أجران القمح  
انتقاما لنفسه من أبيك . كل هذه المصائب أنت السبب في جلبها  
لا بيك » فنظر الشاب امامه فرأى أكوام القمح تحترق ، فهلع  
قلبه اضطرابا ولم يتمكن من أدامة النظر لان العراب التفت الى  
جهة أخرى وأشار قائلاً : « انظرها هو زوج العرابة مضي عليه  
عام بعد هجر زوجته ولم يقلع بعد عن شروره وآثامه أما خليلته

فقد زادت انغماسا في شهواتها وهامى عرابتك تندب سوء حظها  
وتقضى ليها تعالج همومها بالمسكرات بغية أن تجد الصبر والسوان .  
فهل رأيت صنعك لعرابتك والآن انظر لترى ما قدمته يداك لامك  
المسكينة « فنظر واذا به يرى والدته في كسر دارها قد أثقلت ظهرها  
الهموم وهي تقاسى الامر من تبكيت الضمير وتندب حظها فائلة :  
« ويح نفسى ما أشقاها لقد كان الاولى بي أن يقضى على الالص في تلك  
الليلة المشؤمة من أن يحملنى تلك الخطيئة » . ثم أشار اليه عرابه أن  
أنظر فنظر واذا به يرى دار السجن وأمامها ثلة من الجنود فقال له :  
« أترى هذا الرجل انه سفك دماء عشرة من الأرياء وكان لا يحيص  
له من أن يكفر عن سيئاته بنفسه ولكنك عجلت عليه بالقتل  
فحملك جريرة دمه ودم الدين جار عليهم بالقتل فهل رأيت الآن  
نتيجة عملك وما جلبته لنفسك بطيشك ونزقك . أمامك الآن  
ثلاثون عاما تقضيها في هذا العالم تضرب بقدمك في فسيح أرجائه  
وتعمل جهدك على تكفير ذنبك واذا لم تتمكن من تكفير ذنبك  
قبل انقضاء هذه المدة تنال من الجزاء ما كان سيناله هذا الالص »  
فسأله الشاب وقد اكبد لونه وارتمت على وجهه علامات الخوف  
والجزع :

— بربك قل لي كيف اكفر ذنوبي

فأجابه : ذلك ميسور لك اذا تلافيت من شرور هذا العالم

بالقدر الذى جلبته اليه وبذلك تكفر عن خطئك وخطايا  
الاص معاً .

— وكيف السبيل الى نحو الشر من العالم .

أنا مرشدك الى ذلك . قم الآن وسر في الارض نحو المشرق  
وبعد مسير بضعة أيام تصل الى مزرعة فيها بعض رجال فراقب  
ما يعملون ثم أخرج لهم النصح بما تعلمته في سفرك وأتم مسيرك  
نحو المشرق أيضاً الى أن ينتهى بك المسير الى غابة كذا وفيها تجد  
كهنذا يسكنه شيخ معتكف فقص على هذا الشيخ كل ما تراه وتعلمه  
في طريقك اليه فهو مرشدك الى ما يكون فيه تكفير ذنبك ان شاء الله .  
وبعد أن ودع الشاب عرابه سار يتبع مشرق الشمس كما أمره  
وهو يناجى نفسه بهذه الاقوال : « كيف يتسنى لى نحو الشر من  
هذا العالم ؟ وكيف يستطيع المرء ذلك دون أن يتحمل خطايا  
البشر ؟ ألا تكفى القوانين الوضعية التى تحكم بالسجن والجلد والنفي  
أو بالموت ؟ وهل لادواء الانسانية وشرورها علاج غير ذلك ؟  
أخذ يفكر في ذلك طول طريقه عله يجد حلاً لهذه المشكلة ولكن  
على غير جدوى وكان قد وصل الى مزرعة كبيرة ورأى القمح فيها  
نامياً وقد طالت سوقه ولم يبق على حصده الا القليل ثم لمح على بعد  
منه عجلاً صغيراً يعدو فى الحقل وقد طار وراءه بعض الرجال يطاردونه  
بغية إخراجه من الحقل قبل إتلاف سوق القمح ثم رأى فى الطرف

الأخر من أنزعة امرأة تعون وتصيح قائلة :

— باللدا هية إيهم سوف يمتنصون العجل فلا يلبث أن يفع صريعا بين أرجل جيا دحم . عند ذلك ناداهم ابن العراب بقوله : « ما هذا الحمق تنجوا عن العجل ودعوا المرأة تناديه فلا يكبح جماحه » .

فأصغى الرجال لقوله وتنجوا عنه واقتربت المرأة من الحقل تنادى عجلها بقولها : إلى يا ( براونى ) إلى يا عزيزى الصغير فوق العجل قليلا يرهف أذنيه نحو الصوت ثم مالبت أن عدا نحوها وارتقى فى أحضانها فرحاً .

فاغتبط الرجال وفرح العجل وعلى هذه الصورة الجميلة انحل المشكل ففكر الشاب فى نفسه يقول : «حقا إن الشر لا يعالج بمثله وقد دلتنى الاختبار ان الناس يزيدون نار الشر ضراما كلما حاولوا اخماده بالجبر والعسف . قد أطاع العجل سيده وهكذا سارت الامور على محور الخير ولكن كيف تكون النتيجة لو أن العجل لم يطع سيده . ففكر فى ذلك طويلا دون أن يهتدى الى حل معقول وكان قد ترك الحقل متما مسيره حتى وصل الى قرية صغيرة وما كاد يصل آخر القرية حتى أخذ التعب منه مأخذه فتأفت يبحث عن مكان يرتاح فيه ليلته فرأى منزلا صغيرا فى آخر القرية فسار اليه وطلب ان يؤذن له بالمبيت تلك الليلة فاستقبلته صاحبة المنزل بالترحاب واجلسته بالقرب من الموقدة ايسد فىء ثم أخذت تنعم ما كانت فيه

من تنفيذ ثبات المنزل وترتيبه وكانت قد أتت كل عملها تقريباً ولم يبق عليها الا تنظيف مائدة الأكل استعداداً لليوم الأحد فمسحتها مسحة جيداً ثم أحضرت خرقة قدرة تريد تنشيفها وما نادت تضع الخرقة على المائدة حتى اتسخت ثانية فأعدت غسلها ورجعت تنشفها بالخرقة عينها فاتسخت مرة أخرى . وكان ابن العراب راقب عملها بكل اقتباه واخيراً لم يتسلك من ان يقول لها: ماذا تصنعين يا سيدتى؟ فأجابته: «الأتري انى استعد للقعد وقد أتت كل عمل الا هذه المائدة فقد أعياى امر تنظيفها» فأجابها: عبثاً تحاولين يا سيدتى تنظيف المائدة بتلك الخرقة القدرة انما يجب تنظيف الخرقة أولاً ثم تمسحين بها وهى نظيفة» فامتثلت لقوله وتم الأمر كما تشتهى السيدة فشكرته على نصيحته وعند الصباح شكر حسن ضيافتها وسار فى قصده حتى انتهى الى غابة رأى عند مدخلها بضع رجال يصنعون أطوار العجلات وعندما اقترب منهم رأهم يدورون حول قطعة من الخشب دون أن يتمكنوا من احنائها فنظر الى قطعة الخشب فرأى أنها غير ثابتة فى الكتلة التى يدورون حولها .

فكانوا كلنا ادار وادار الخشب معهم . فتقدم منهم الشاب وطارحهم السلام ثم سألهم عما يصنون فأجابوه

— «الأتري أننا نضع أطواراً للعجلات وكثيراً ما حاولنا احناء

هذه القطعة ولكن علي غير جدوى « فأجابهم بقوته » كان عليكم أن تتأكدوا من ثبات الخشب في الكنلة أولاً ثم تشرعون في العمل والا تدور معكم كما تدورون « فعملوا بإشارته وتم الأمر على أحسن حال وأمضى الشاب ليلته معهم. وعند الصباح قام يضرب بقدميه في الأرض ثانية حتى وصل إلى كلاً من الأرض فيه بعض الرعاة وقد انتشرت مواشيه من ذات اليمين وذات الشمال فاقترب منهم فرآهم يحرقون بعض الأعشاب بغية إضرام النار ولكن النار ما كانت لتشتعل حتى كانوا يرمون عليها بعض الأعشاب الندية فتخمد لوقتها. ثم أعادوا العمل بنفس الطريقة فأصابهم من الفشل ما أصابهم في المرة الأولى فتقدم اليهم الشاب قائلاً :

— أراكم أيها الرفاق تستعجلون بوضعكم الأعشاب الندية قبل شبوب النار وإنما عليكم أن تنتظروا ريثما تشب النار تماماً فتضيفوا إليها قدر ما تريدون من العشب .

فعملوا بإشارته وتركوا النار حتى شبت تماماً ثم أضافوا إليها أعشاباً أخرى فاشتعلت واستخدموها فيما يريدون ثم أقام الشاب بينهم ريثما استراح وقام يتمم مسيره ثانية مفكراً في كل ما صادفه في طريقه وهو يحاول أن يجد لها معنى ولكن لم يهتد إلى شيء . وفي اليوم التالي وصل إلى أجمة أخرى وفيها أبصر الكهف الذي يكنه الراهب المعتكف فضرب عليه

الباب فسمع صوتاً ضعيفاً يقول : من هذا الواقف على الباب .  
فأجابه الشاب : رجل مجرم أثقلته ذنوبه فجاء يكفر عنها . ففتح  
الباب وخرج منه شيخ عجوز أحنت الايام قوس ظهره وسأله عن  
جلية أمره فأفضى اليه الشاب بكل ما وقع له في بيت عرابه وأخبره  
كذلك بما رآه في المزرعة حيث كانت الرجال تطارد العجل وكيف  
اصححهم ثم ختم حديثه قائلاً :

«ومن ذلك الوقت علمت أن الشر لا يدفع بالشر ولكن لم  
أهتد حتى الآن الى الطريقة المثلى التي يجب اتباعها لدفع الشر  
فهل لك ياسيدي أن ترشدني لذلك » فأجابه الراهب : أمض في  
حديثك يا بني واخبرني بما رأيته أيضاً . فعاد الشاب الى حديثه  
وأحكى له ما رآه في بيت المرأة وقص عليه أمر الرجال الذين  
كانوا يصنعون أطوار العجلات ثم أخبره بما وقع له مع الرعاة .  
كل ذلك والراهب مطرق برأسه يصغى اليه جيداً وعند  
انتهاء الحديث دخل الى كهفه وعاد ثانية ويده فأس صغير كالذى  
يستعمله الخطابون . ثم قاده الى وسط الاجمة وأشار الى شجرة  
هناك ثم قال . اقتلع هذه الشجرة من أصولها ثم اقطعها بالفأس  
الى قطع ثلاث . ففعل ابن العراب كما أمره الراهب وعند انتهاء  
العمل ذهب الراهب الى كهفه ورجع اليه بقطعة خشب مشتعلة  
وأمره أن يحرق بها القطع الثلاث حتى تصير كلا منهما كالفحمة

السوداء وبعد أن فعل ذلك أيضا أمره بفرس القطع المحروقة في الأرض حتى النصف .

وعند انتهائه من العمل وضع الراهب يده على كتف الشاب وخاطبه بقوله :

— «أرى ذلك النهر الصغير عند سفح الجبل عليك أن تنقل منه الماء بفمك لسقى هذه الاعواد الثلاث . اسق العود الاول كما علمت المرأة واسق الثاني كما أشرت على صانعي العجلات والثالث كما أشرت على الرعاة واستمر على سقيها وتعهدها حتى ترى أن هاته الاعواد الثلاث تنمو وتينع وتصبح كل منها شجرة تفاح صغيرة . عند ذلك تكفر عن خطيئتك وتعلم في الوقت نفسه كيف يمكن اقتلاع بذور الشر من بين جوانب الانسان »

وعند ما انتهى الراهب من حديثه قفل راجعا الى الكهف وترك الشاب غارقا في بحار التفكير يضرب أخماسا لأسداس ويقلب وجوه الرأي عساه يهتدى الي معنى لسكل ما رآه وأخيرا لم يربدا من اطاعة أمر الراهب اطاعة عمياء كما أوصاه عرابه فصار ينقل الماء بنفسه ويستقى الاعواد طول يومه حتى أعياء التعب وأخذ منه الجوع كل مأخذ فسار الى الكهف ليطلب منه ما يسد به الرمق ولكنه ما كاد يدخل الكهف حتى رأى الراهب جثة هامدة فيها له الامر وأسقط في يده لا يدري ما يصنع وأخيرا تملك روعه

وأخذ ينقب في أطراف الكهف حتى اذا أصاب شيئا من الخبز الناشف  
أكله ونام ليلته بالقرب من جثة الراهب وعند الصباح قام الى  
فأسه وحفر قبراً للراهب بالقرب من الكهف وبينما هو في عمله  
رأى جمعا من الناس جاءت لتزور الراهب ومعهم بعض الزاد  
كعادتهم فأخبرهم بموته فأسقوا عليه وعاونوه بدفنه في الحفرة  
التي أعدها له من قبل ثم ودعه الحاضرن بعد أن تركوا مامعهم من  
الزاد وقد وعدود بزيارته من حين لآخر كما كانوا يزورون  
ساكن الكهف سلفه ومن ثم اشتهر أمره بين سكان الجهات  
المجاورة للغاية بأنه لا ينفك عن ثقل الماء بقمه من النهر حتى  
الكهف رياضة للنفس وكبحا لجراح الهوى . فتقاطروا اليه من كل  
صوب للتبرك به ومعهم كثير من الهدايا الثمينة فكان يبقى لديه  
الضروري منها ويوزع الباقي على الفقراء والمساكين . وكان يمضي  
نصف يومه في ثقل الماء وسقى الاعواد والنصف الآخر في  
استقبال زواره العديدين .

مضى عليه حولان لم ينقطع أثناءهما يوما واحدا عن ثقل  
الماء وسقى الاعواد ولكنها كانت على حالها السابق لم تتغير  
مطلقا . وبينما كان ذات يوم جالسا في كهفه سمع وقع حوافر  
جواد وصوت انسان يغنى فقام الى الباب ليستطلع الامر  
واذا به يرى شابا مفتول العضل عليه سياء الشراسة والشر

فأله ابن العراب عن نفسه وعن وجهة قصده فأجابه الرجل وقد  
أمسك بزمام فرسه يوقفه : « أنا لص أقطع الطريق على الناس  
وكلما قتات انسانا كما ازددت ابتهاجا فأردد علي الدوام الا تاشيد  
التي تردد صداها هذه الجبال » ففكر ابن العراب في نفسه يقول :  
« هذا رجل قد جبل على الاجرام وطبع على محض الشر فكيف  
السبيل الى ارشاده انه من السبل ارشاد أولئك الذين يأتون الى  
بمحض ارادتهم يعترفون لي بذنوبهم ويطلبون الصفح والغفران  
ولكن كيف الطريق الى نزع ما كمن في نفس هذا اللص من الشر  
وهو يفتخر بذنوبه ويتباهى بعجايبها بما يقترفه من الاثام » ثم فكر  
ثانية وقال في نفسه « رباه كيف العمل ؟ فقد ياوى هذا اللص  
الى جهة قريبة من الكهف فيوقع الرعب في قلوب زائريه  
وبذلك تضيع الثمرة فلا أدري كيف أعيش بعدها » ثم التفت الى  
اللص وخاطبه قائلا : « اعلم يا هذا أن الناس يحضرون عندي  
يلتمسون التوبة والغفران باعترافيهم عن ذنوبهم فلا يفتخرون بها  
مثلك فاقام أنت أيضا عن شرورك وآثامك والتمس التوبة قبل  
فوات الفرصة ان كنت ممن يخافون الله . وان لم تكن نعمة ندامة  
في قلبك فلا تقرب هذه الجهة لان ذلك يوقع الرعب في قلوب الذين  
يفدون على فان لم ترعو فان الله كفيف بعقابك » فأجابه اللص : « أنا  
لا أخاف الله ولا اصغى لهذيانك اذ ليس لك على أقل سلطان . أنت

تعيش بزهدك وأنا أعيش بالصوصية فكلانا يعمل ليعيش وإذا  
 فالغاية واحدة وإن اختلفت الوسيلة وحرى بك أن تدخر ما في  
 نفسك من النصائح للمعجزة اللواتي يحضرن مجلسك أما أنا فلا  
 أخدع بزخارف الأقوال . ولكن بما أنك ذكرتني بعقاب الله فلا  
 يشرق صباح الغد حتى أكون قتلت تقسين ذكرى لهذه النصيحة  
 وكان يودى أن أقتلك ولكن لأريد ذلك الآن والويل لك أن  
 اعترضت طريقى بعد اليوم « ما كاد اللص يتم حديثه ووعيده  
 حتى لوى عنان فرسه وغاب عن الا نظار ولم يسمع له خبر بعد ذلك  
 فاقام ابن العراب في كهفه ثمانية أعوام أخرى في هدوء وسلام .

\*\*\*

جلس ابن العراب في كهفه ذات مساء بعد أن فرغ من سقى  
 الاعواد كمادته مترقبا قدوم زائر ولكن لم يحضر اليه أحد ذلك المساء  
 فاكتأب لذلك واستوت على نفسه الهموم والاحزان وأخذ  
 يفكر في معيشتة الجديدة في الكهف ثم تذكر قول اللص وكيف  
 عاب عليه التعيش بالزهد والمسكنة فأنب نفسه ورجع يوبخ ضميره  
 قائلاً : « ويح نفسى ما أشقاها! جئت هنا لا كفر عن خطيئتي وإذا  
 بي أضعف ذنوبي وأنا مسمى . نعم قد صدق اللص في قوله : كلانا  
 يعمل ليعيش أنت بزهدك وأنا بسفك الدماء وقتل نفوس الابرياء  
 ليست هذه المعيشة هي التي أتمسك بها لأ كفر عن سيئات نفسى

ولم تكن هذه الخطة التي أتتهجها كفيلا بغسل آثامي بماء الظهر  
 والتوبة . فقد كان على أن أكتفى باليسير من الخبز ولكن ملك  
 الغرور على نفسي فأصبحت ارتاح لمدح الناس إياي بالزهد والتقوى  
 وها أنا ذا قد أستولى على لهم لاني لم أجد بين يدي من يتقرب  
 الي بالمدح والثناء . كلا . كلا ! على أن أفر من وجه الناس  
 والتمس المعيشة في ركن آخر من هذه الغابة حيث لا يصل الي أحد  
 منهم »

وما وصل من حديث نفسه الي هذا الحد حتى قام من مكانه  
 وعلى وجهه امارات العزم الصادق ثم احتمل سلة الخبز وأمسك  
 محراثه بيمينه ليحفر لنفسه كهفا آخر في ركن مهجور من الغابة وفيما  
 هو في طريقه قابله اللص ففزع منه ابن العراب وولي الادبار الا ان  
 اللص أسرع فأمسك به وسأله عن قصده فأجابه انه يريد اعتزال  
 الناس في ركن من الغابة فعاد اللص وسأله : ومن أين لك ما تبلغ  
 به اذا أنت اعتزلتهم ؟ فقال : « ذلك لا يهمني بل أعيش بما يقدره لي  
 رب العالمين » فسكت اللص ثم اعلم بمهمازه في الجواد واختفى بين  
 أشجار الغابة .

فقال ابن العراب في نفسه : ما على لو نصحتة مرة ثانية فانه اليوم  
 ألين عريكة من ذي قبل . ثم صاح بأعلى صوته : « مازال امامك  
 متسع من الوقت للتوبة والندامة فارجع عن غيك يا هذا » فرجع

اليه اللص مشهراً خنجره يريد قتله ففر ابن العراب من بين يديه وأخذ يعدو في الغابة بملء فروجه فوقف اللص عن ملاحقته واكتفى بقوله : « هذه هي المرة الثانية وأنت تقف في وجهي أيها العجوز فحذار فانك لاتملى من يدي في المرة الثالثة »

وفي مساء ذلك اليوم عند ماذهب ابن العراب ليستقي الاعواد كعادته كانت احداهما وهي الأولى موضع اعجابه واندهاشه لانه رآها قد اخضر عودها ودبت الحياة فيها وافترت عن شجرة تفاح صغيرة . فأشرق جبينه وعاد اليه الأمل وقد أيقن انه سائر في سبيل التكفير عن خطايه . ونظر ذات يوم الي الساة التي احتملها من الكهف السابق واذابها فارغة ليس بهاشيء من الخبز فتسلل الي الغابة يبحث عن نبات أو ثمر يعيش عليه واذابه يرى ساة أخرى من الخبز معلقة على احدى الاغصان فأخذها وعاد الي كهفه وعاش عليها مدة من الزمان لا يعكر صفو حياته الا وعيد اللص اذ كلما تذكر تهديده ترتجف أعضاؤه فرقاً خوفاً من أن يقضى اللص عليه قبل تكفير ذنوبه الا انه فكر في نفسه ذات يوم فقال : « أنا أجرمت ومع ذلك أهاب الموت ألا يمكن أن تكون ارادة المولى ان أكفر عن خطيئتي بالموت » وما وصل من مناجاة نفسه الي هذا الحد حتى سمع صوت اللص يصخب ويلعن كمن يخاطب شخصاً آخر فقال في نفسه « انما الخير والشر بيد الله » وقام لوقته

يريد مقابلة اللص فرآه ممتطياً فرسه وقد أردف خافه رجلاً آخر  
مكبل اليدين والرجلين يوسعه لكما وضرباً ويستنزل عليه اللعنات  
طول الطريق . فوقف ابن العراب في وجهه وصاح به :

— الى أين أنت ذاهب بهذا الرجل ؟

— هذا ابن أحد التجار أبي أن يعترف لي أين أموال أبيه

ولكني سوف اذيقه كل صنوف العذاب حتى يقر لي بالمكان

ثم اعلم المهماز في جواده يريد السير ولكن ابن العراب كان

ممسكاً بالفرس بكل قوته فلم يدعه يمر وقال له بلهجة الغاضب : دع

هذا الرجل وشأته . عند ذلك استشاط اللص من الغضب ورفع يده

يريد لطمه وهو يقول : « أتريد أن تذوق طعم العذاب الذي

أعددت له هذا الرجل ؟ تنح عن طريقي والاقطعتك شرقتة » ولكن

ابن العراب لم يتزعزع من مكانه بل وقف ثابت الجأش وأجاب .

اللص بقوله : « لأأدعك تنقل خطوة واحدة دون أن تمر على

جثتي وتطأها بسنابك جوادك فانا لا أخاف سوى رب العالمين فهو

الذي يثبت قدمي الآن لأجاهد في سبيل الخير فلتكن مشيئة

الله » فطرق اللص واجماً ثم اخرج سكيناً صغيراً قطع به قيود الشاب

ونظر الى الرجل وابن العراب وهو يقول : « اغربا الآن عن

وجهي وحذار أن تقف في طريقي مرة أخرى ايها المعجوز » فقفز

ابن التاجر وانطلق يعدو في الغابة . أما اللص فكان على وشك أن

يعلم جواده ثانية حينما أمسك الزاهب بضرف ثوبه وأخذ في نصيحه  
 وارشاده وكان اللص في هذه المرة مطرقاً لا ينبس ببنت شفة إلا أنه  
 طاف بهز رأسه ثانية وركض بجواده نحو الغابة

وفي اليوم التالي لهذه الحادثة وجد الراهب ان الحياة دبت في  
 العود الثاني ونمت شجيرة تفاح اخرى بجانب الأولى  
 مرت على هذه الحادثة عشرة أعوام وقد جلس ابن العراب  
 ذات يوم في كهفه بطيلاً نديته وسلام وقلبه يفتح بشراً وسروراً ولا  
 يعكر صفوه هنائه خوف أو طمع وكان يفكر في نعم المولى على  
 عباده وكيف أن الله جات قدرته هياً لهم كل ما فيه غبطتهم وسعادتهم  
 وانهم هم الذين يوردون أنفسهم موارد البؤس والشقاء ويعملون  
 على تعكير صفوه الحياة باطماعهم وشروورهم ثم انتقل بفكره الى  
 الانسان وما جبل عليه من شر والى الحياة الاجتماعية وما فيها من  
 امراض وآلام فقال في نفسه : « عار على الأبرح مكاني هذا بل  
 على ان أسعي في الارض أرشد الناس الى الطريقة المثلى لنزع  
 الشر من بين جوانبهم !! وبينما هو غارق في هذه الهواجس اذا  
 باللص يمر من امامه فتركه يمر بدون أن يتعرض له بل قال في نفسه  
 « ان الكلام مع مثله لا يجدي نفعا لانه لا يفقه لما أقول معنى »  
 ولكنه ما لبث أن غير عزمه وقام مسرعاً خلف اللص فرآه مغبر  
 اللون مطرق الرأس خاشع البصر فأشفق عليه ووضع يده على

ركبته وخاطبه قائلاً « كن رحيمًا بنفسك يا أخي . إنك طائفا عثت في الارض فسادا وأهلكك تقوسا بريشة وكنت شرا ووبالا على الانسانية ومع ذلك فان الله رحيم بعباده يقبل توبة التائب ويعفو عن اساءة انسىء فيها رجعت عن ضلالك وأشفتت على البقية الباقية من حياتك » فوجه اللص لا يتكلم ثم عد يريد السير ثانية وهو يقول « دعنى وشأنى » ولكن ابن العراب لم يأس بل ظفرت من عينه دمعة سخينة مسحها بطرف ردائه واقبل على ارشاده ونصحه فنظر اللص اليه طويلا ثم رمى نفسه عن جواده وركع أمامه يقول :

— ها أنت ياسيدي قد ملكت على نفسى وظفرت بها أخيرا بعد أن قاومتك عشرين عاما فافعل بي ما تشاء فانى رهن اشارتك اذ لاطاقة لي باكثر من ذلك . نعم قد استفزنى الغضب عند ما وقفت فى طريقى تريد نصحى وارشادى فى المرة الأولى ولكن ما كدت تعزل الناس وتزهد فى أعطياتهم حتى أخذت أقدر أقوالك ونصائحك حق قدرها اذ علمت أنك لم تنصحنى لغاية او فائدة وانما قلت ماقلته لمحض الخير والاحسان ومنذ ذلك اليوم قدرت جهادك حق قدره وساقنى عامل الاعجاب بك الى احضار الخبز اليك فى سلة كنت اعلقها على غصن احدى الاشجار القريية من كهفك »

فتذكر ابن العراب عند ذلك تلك الحادثة التى مرت به منذ ما كان بضيافة المرأة وكيف انها لم تتمكن من تنظيف المائدة الا بعد

أن غسأت تلك الخرقعة التي كانت تسمح بها . كذلك هو لم يتمكن من تطهير قاب غيره الأبعد أن ظهر ذات نفسه . ثم استطرد اللص حديثه قائلاً « ولكن حتى ذلك الوقت كنت معجباً بك فقط ولم تؤثر نساءجك في نفسي تأثيرها المطلوب الأبعد ما علمت أنك لا تهاب الموت »

فتذكر ابن العراب حينئذ ما رآه من أمر الصناعات الذين كانوا يحاولون احناء القطعة الخشبية وانهم لم يتمكنوا من ذلك الأبعد أن ثبتوا الكتلة في مكانها تمام الثبات فعلم ان نساءجك لم تؤثر في اللص ذلك التأثير البليغ الأبعد ان طرح عن نفسه رداء الخوف من الموت واشعر قلبه حلاوة الايمان الصادق « ثم ختم اللص حديثه قائلاً « ولكن لم يحترق قلبي بنار التوبة والاخلاص الا حينما رأيتك تشفق على وتبكي لأجلي »

عند ذلك أخذ ابن العراب بيده وذهب به حيث الأعواد الثلاثة فرأى أن الحياة قد دبّت في الثالثة أيضاً فأشرق شعاع الامل بين جوانب نفسه وعلم أن الله قد تقبل توبته وغفر خطيئته وتذكر كيف أن الرعاة لم تتمكن من احراق الاعشاب واضرامها الأبعد ان ذكت النار تماماً فعلم أن اللص لم تتم توبته الأبعد ان ذكت نفس مرشده تماماً . عند ذلك قضى نحبه قرير العين هنيء البال بعد ما أفضى الى اللص بكل ما علمه وتعلمه ثم أوصاه بارشاد الناس الى طريق الخير بالقدوة الصالحة والمثل الطيب .

## الحكاية الرابعة

### مكيدة شيطانية

واما الخمر فهي تزيل عقلا  
ولو ناجتلك اقداح الندامى  
تذيع السر من حر وعيبه  
فان هلكت خروسك ام ليبي  
فعنك تعود ابنيّة العالى  
وقد بضحي صحاتك اهل سجن  
فتحت به مغالِق مبهمات  
عدت عن حماها متندمات  
وتعرب عن كذائن معجّمات  
فما انا من صحابك والامات  
واطلال النهى متهدمات  
وتاقين الكؤوس محطّمات  
« لامعري »

فى صباح ذات يوم خرج قروى من كوخه الحفير يحمل تحت  
ابطه فطور ذلك اليوم موليا وجهه نحو الحقل الذى ما كاد يصل  
اليه حتى خلع معطفه ورماده تحت احدى الشجيرات بعد أن لف  
فيه مامعه من الخبز ، ثم شرع فى العمل . وبعد هنيهة انبهكه الجوع  
وأضنى التعب جواده ، فاطلق سراح الجواد وجلس هو لياكل  
ما أعده للفطور ولما تقعد الخبز لم يجده بين طيات ثيابه فأخذ  
يقلب المعطف بين يديه ويدقق النظر فى كل جزئياته . ولكنه عبثا  
كان يحاول اذأن الشيطان كان قد سبقه الى الشجيرة ، وسرق ما فى  
المعطف من الطعام ثم جلس منتظرا ان يسمع صخب القروى  
ولعناته على سارق الخبز الا أن قاله قد خاب لأن القروى مع

ماداخاه من الاسف لم يتأثر كثيرا لتفقد الطعام بل اكتفى بقوله :  
 « ما على لوصبرت فان الجوع ليس بقاتل و ربما كان الاخذ في حاجة  
 الى ذلك الخبز فلهيئنا به » قال هذا القول وذهب توا الى بشر قريب  
 منه حيث اطفأ ظمأه وارتاح قليلا من وعشاء العمل ثم عاد فأمسك  
 بعنان جواده واستأنف العمل ثانية .

اما الشيطان فقد استاء من عمل القروي اذ رآه أعقل من أن  
 يقع في الخطيئة فأسرهما في نفسه وعزم أن يخبر رئيسه بالامر  
 وبالفعل ذهب من وقته الى ابليس وقص عليه الحكاية وكيف ان  
 القروي لم يعبأ بفقد الخبز ولم يسخط على آكله بل تسنى له الهناءة  
 والسرور، فما كاد ابليس يسمع ذلك حتى غلى مرجل حقهه وانهر  
 تلميذه قائلاً: « انما اللوم في ذلك راجع عليك لانك لم تقم بمهيتك  
 كما يجب واعلم ان القرويين اذا ابتدأوا ينهجون على هذا المنوال  
 واقتنى اثرهم في ذلك زوجاتهم فالويل لنا نحن معاشر الالباسه،  
 فالامر خطير لا يجمل بنا ان نتغافل عنه فانكص على عقبيك سريعا  
 وأصلح خطأك هذا وان لم تنتصر على ذلك القروي الساذج في  
 ظرف ثلاث سنين فسوف اريك كيف يكون جزاء الاهمال، فعاد  
 الشيطان الى الارض مسرعا وهو ينتفض فرقا وقد تقطعت نياط  
 قلبه من تهديد الرئيس، واخذ من وقته يفكر في حيلة يوقع بها ذلك  
 المسكين في حباله، واخيرا اهتدى الى مشروع وجدده كفيلا بنجاحه

فتزيا يزي احد العمال وتمكن من ان يدخل في خدمة القروى .  
وفي عامه الاول نصحه بأن يبذر حبوبه في أرض رطبه  
فعمل القروى بنصيحته وكان الجو من حسن حظه جافا فانتجت  
الارض محصولا جيدا فتمكن من ملء مخازنه وأصبح لديه كميات  
وافره من القمح تزيد عن حاجاته . وفي عامه التالى عاد اليه الشيطان  
ينصحه بان يبذر حبوبه على ربوة من الارض ثم جاء وقت الحصاد  
وكان الصيف رطبا فاستفاد القروى من النصيحة وتوفر لديه شىء  
كثير من القمح يربو عما جناد في عامه السابق . فجار في امره ولم  
يدر ماذا يصنع بكل ذلك القمح الكثير فوسوس اليه الشيطان ان  
يستخرج منه نوعا من الخمر ففعل ، وكان الخمر المستخرج قويا شديدا  
التأثير فسر بهذا الاكتشاف واخذ يشرب منه هو وزوجه واهدى  
الى اصدقائه الشىء الكثير عند ذلك ذهب الشيطان الى رئيسه فرحا  
مستبشرا وقص عليه ما فعله لاغواء القروى فقام ابليس مسرعا  
ليشهد الامر بنفسه ويتحقق صدق مقاله ، ولما وصلا الى منزل  
القروى وجدا ان صاحب المنزل يستعد لحفلة ساهرة دعا فيها كل  
جيرانه الاعزاء ، ثم رأيا وفود اندعوين تقبل الى المنزل زرافات  
ووحدا نا وصاحبة الدار قائمة بخدمتهم تقدم لهم كؤوس الخمر .  
وبينما كانت تدور عليهم بالالوانى اذا بها قد تعثرت فوقعت الالوانى  
من يدها وسال الخمر على الارض فاحتمدم زوجها غضبا وصاح بها

يقول « ما الذي دهاك ايها العسراء حتى اهرقت هذه الخمر اللذيذة على بساط الغرفة اظننت ان ما بين يديك من ماء البئر حتى اخذت في اتلافه واسرافه » وما كاد الشيطان يسمع هذه الكلمات حتى غمز رئيسه قائلاً « اسامع انت كلام ذلك القروي الساذج الذي لم يهتم بمقد كسرة الخبز » وبينما كان القروي ينتهر امرأته ويلومها على فعلتها اذا بقروي فقير دخل عليهم متطفلاً واستوى جالساً على المائدة ينتظر اكرام صاحب الدار، ولما طال به الجلوس تعامل صاحب المنزل من جلوسه وتمتم يقول: « انا ليس في وسعي ان اقدم شرباً لكل من يتطفل على موائدنا » فسمع ابليس هذه الكلمات وسر في نفسه بهذه النتيجة الا ان تلميذه قال له وهو يبتسم : « انتظر قليلاً فسوف ترى ما هو اعجب » وفعلاً ما كاد يتم قوله هذا حتى كان القوم اخذتهم نشوة الخمر فاصبحوا يخادعون بعضهم البعض بالفاظ ملؤها الملق والرياء، عند ذلك قال ابليس: « اذا كان بعض الخمر يجمعهم على هذا الخال يروغون كالشعالب. فمن السهل ان نوقعهم جميعاً في حبال مكرنا » فاجابه تلميذه « انتظر ما هو اهم فانك تراهم الآن يروغون كالشعالب ويتملقون بعضهم البعض ولكنك سوف تراهم عقب الكأس الثانية كالذئاب المفترسة ينهشون لحوم بعضهم البعض » فما اتم الشيطان هذه الكلمات حتى كان الشراب يدور على القوم ثانية ، ثم ارتفعت من بينهم دواعي

الحشمة واصبحوا يتبادلون وحشى الكلام وقبيح الالفاظ ثم ادى بهم الامر الى المضاربة فلما كمة ،فتلألاً وجه بليس بشرا وهنأ تلميذه بذلك الفوز الباهر قائلاً « هذه هي الخطوة الاولى في سبيل النصر » فاجابه تلميذه « انتظر حتى النهاية تر ما هو أغرب فانهم الآن كالذئاب يكاد أحدهم يفترس صديقه ولكنك سوف تراهم كالحنازير عقب الكأس الثالثة »

عندها دارت الكؤوس عليهم مرة ثالثة فعملت أصواتهم وزاد صخبهم وأصبح كل منهم يلعن ويشتم بلاسبب ومن غير داع . وبعد برهة وجيزة انفرط عقد جمعهم وأخذوا يتسلاون من مكان الدعوة جماعات ووحدا نا يترنحون سكرًا ويتمايلون ذات اليمين وذات الشمال ، ثم ذهب المضيف إثرهم ليشيعهم ولكنه ما كاد يخطو بضع خطوات حتى تعثر في مشيته فوقع في حفرة مملوءة بالاوحال وتلطح بها من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، فازداد ابليس لهذا المنظر بهجة وسرورا والتفت الى تلميذه يقول « لله درك فلقد كان نجاحك باهرا وفوزك مبينا ولكن خبرني كيف صنعت هذا الشراب ؟ فلا ريب انك أضفت اليه بضع نقط من دم الشعالب وهذا ما حدى بهم لان يروغوا وينمقوا بعضهم البعض في الكأس الأولى ، ثم اظن انك أضفت اليه بعضا من دم الذئاب ، اذ كان نتيجة ذلك انهم أصبحوا كالذئاب العاوية . واخالك أتمت العمل بوضع

تقاط من دم الخنازير حتى أصبحوا يماثلون الخنازير عقب الكأس  
الثالثة » فقال الشيطان

— « كلا فانك لم تصب كبد الحقيقة فليست هي الطريقة .  
وكل ما في الامر اني بذلت ما في وسعي لان أجعل ذلك القروي  
يمالك حبوبا أكثر مما يحتاج اليها ، فالانسان يجول في  
عروقه دماء الحيوانية على الدوام وتظل هذه الغريزة كامنة في  
نفسه طالما كان يملك من حطام الدنيا أقل من ضرورياته ، يدلك على  
ذلك ما أظهره القروي عند ما تحرشت به في مبدأ الامر ولكنه  
ما كاد يتوفر لديه أكثر مما يحتاج اليه حتى أعماه الغنى وتمادى به  
الغرور فأخذ يبحث عن دواعي الملاهي والسرور وهنا سنحت  
الفرصة لاغوائه . فأخذت بيده الى طريقة من طريق الغواية اذ  
أرشدته الى صنع الخمر فاستأذنها المسكين لسوء حظه وشربها  
عذبة سائغة فكان في ذلك كالساعي الى حتفه بظلمه فانه ما كاد يكفر  
بانعم الله ويصير اعطيته خمره تذهب برشده حتى ظهر ما كن في  
نفسه من تلك الدماء الخبيثة — دماء الحيوانية . فأصبح وحشا ضاريا  
بعد ان كان بشرا سويا وهو يظل كذلك وحشا مفترسا بعيدا عن  
مناهج الانسانية طالما يعاقر تلك المادة الدنسة .

## الحكاية الخامسة

### ثلاثة أسئلة

شكى مابه والهم يرسل دمه  
أفانين شتى من عقيق ومن در  
فقات له أسعف فقيراً وداود  
عسى يرفع الرحمن مابنك من ضر  
« محمود الجبالي »

أراد أحد الملوك مرة أن يفف على اجابة ثلاثة أسئلة جالت  
بخطره وظن أنه ان تم له ذلك فلا يكون الفشل حليفه قط في أى  
مشروع يأخذ على عاتقه القيام به . وماكاد هذا الفكر يستقر  
في فؤاده حتى أعلن في طول البسلامد وعرضها أن من يجيب الملك  
على أسئلته الثلاثة الآتية يذاك جائزة قيمة . اما الاسئلة فهي :

( ١ ) كيف يعرف الانسان الوقت المناسب للشروع فى أى عمل ؟

( ٢ ) من هم الذين يجب الثقة بهم أو الابتعاد عنهم ؟

( ٣ ) كيف يتسنى له معرفة أهم الاشياء التى يشتغل بها ؟ —

وماكاد هذا يذاع فى المدائن حتى تقاطر اليه العلماء من كل صوب،

الا أنهم ذهبوا فى اجاباتهم مذاهب شتى .

فقال أحدهم اجابة عن السؤال الاول: اذا أراد الانسان أن

يعرف حقيقة الوقت المناسب لبدء كل عمل فما عليه الا أن يخطط

جدولا يكتب فيه أسماء الايام والشهور والسنين محسوبة مقدما

ويواظب تماماً على العمل به وبذلك يمكنه أن يؤدي كل عمل في وقته المعين . وقال آخرون : إن من أخطأ لاي إنسان أن يتنبأ بالوقت المناسب لكل شيء وإنما الواجب عليه أن يراقب بكل دقة وانتباه مجرى سير الاحوال التي تحيط به ومتى علم ذلك صار من السهل عليه معرفة أى الاشياء أكثر أهمية فيبدأ بها في وقتها . الا أن بعضهم اعترض عليهم فقال : مهما يكن الملك يقظاً وواعياً لكل ما يحدث حوله فانه لا يتوصل لمعرفة ذلك الا بعقده مجلساً يتضمن كبار العلماء والعقلاء ليساعدوه بأفكارهم على تحديد الوقت المناسب فرد عليهم آخرون بان هناك كثيراً من المسائل التي يجب البت فيها في الحال ولا يمكن ارجاؤها حتى ينظر فيها المجلس فالطريقة المثلثية لمعرفة ذلك هو التنبؤ بحوادث المستقبل وبما أن هذا لا يفقهه الا السحرة فالاجدر بالانسان مشاورتهم في الامر .

وكان ما أصاب الاجابة عن السؤال الثاني من الاختلاف لا يقل عما أصاب سابقه . فقال أحدهم ان أنفع الناس للملك وأجدرهم بثقتهم وزراءه ومستشاروه وقال آخرون الكهنة ورؤساء الدين وقال ثالث نطس الاطباء وقال رابع ان المحاربين وطائفة المجاهدين هم الاكثر ضرورة للملك دون سواهم .

أما السؤال الثالث فكان نصيب الاجابة عنه من تباين الآراء كذلك ما لا يقل عن سابقه فأجاب بعضهم بأن أنفع الاشياء

للملك هو العلم وقال ثأن انهاره في الفنون الحربية وقال غيره  
الاشتغال بالامور الدينية.

ولما رأى الملك اختلاف العلماء وتباين أفكارهم لم يقتنع  
باجاباتهم فلم ير أحدا منهم جديراً بالجائزة المعدة . ولما لم يجد الملك  
ضالته المنشودة في من وفد الى حضرته من العلماء وكانت رغبته تزداد  
في الوقوف على أجوبة صحيحة لاسئلته الهامة، عمد الى المفاوضة مع  
ناسك مشهور بوافر عقله وغزير حكمته فقام لوقته وارتدى ملابس  
بسيطة (لان هذا الناسك لا يقابل الا العامة ) ثم سار نحو الغابة التي  
اتخذها ذلك العابد مسكناً لا يبرحه . ولما دنا من صومعته ترجل  
عن جواده وذهب اليه وحيداً تاركاً وراءه جنده وحراسه .

قرب الملك منه فوجدده يحفر في الارض امام كوخه فلما وقعت  
عينا الناسك عليه حياه واستمر في عمله وبالنسبة لضعف جسمه  
ونحوه كان كلما جرف بمجرفته قطعة من الارض علت زفراته  
وتصاعدت أنفاسه فتقدم نحوه الملك مخاطباً اياه « انى أتيت اليك  
أيها الناسك العاقل متأسساً منك الاجابة عن ثلاثة أسئلة . فهلا  
توليني سروراً بتحقيق امييتى ؟ » فأصغى اليه الناسك الا انه لم  
يجبه بكلمة واحدة واستأنف الحفر . فزاد الملك قائلاً « انى لأخالك  
قد تعبت الآن فأذن لى بالاشتغال برهة حتى تستعويض بعض قوتك »  
فشكره الناسك وأعطاه المجرفة وجلس هو ليسترريح — بعد أن

جرف الملك مرتين توقفت وأعاد أسئلته ثانيا فلم يعرد الناسك أقل انتباه ولم ينبس ببنت شفه وقام لوقته ومد يده للمجرفة يطلبها من الملك الا ان هذا أبى أن يعطيه اياها واستمر في الحفر حتى مضت ساعتان وابتدأ قرص الشمس أن يختفي وراء الاشجار واذ ذاك توقفت الملك عن العمل وقال للناسك « اني قصدتك أيها الحكيم لتجيبني على أسئلتى فان لم يكن لك بها علم فاخبرني حتى انصرف وأعود من حيث أتيت » فقال الناسك بلبهة تذل على الاهتمام « التفت . الاترى رجلا مقبلا يمدونخوتنا ! هاهو . يجب أن نعرف أولا من هو » فالتفت الملك فرأى رجلا ذاحية طويلة يتقدم مسرعا نحوهما واضعا كتا يديه على بطنه والدم يسيل من تحتها.

ما كاد هذا الغريب يصل حيث يجلس الملك حتى خر على الارض يصرخ من الألم ويئن انات متواصلة ففك الملك والناسك ثيابه المزرجة بالدماء والفتيا جرحا بليغا يتدفق منه الدم فعنى به الملك وضمد جرحه بمنديله ومنشفة كانت عند الناسك ولكن مع كل هذا لم تقف حركة خروج الدم ، لذلك كان الملك نفسه يزيج العصابة ويمتص الدم بحرارة زائدة ويفسح الجرح مرات عديدة ثم بعيد اليه الضمادة ثانية وهكذا حتى انقطع الدم وانتعش الرجل وطلب جرعة ماء فاحضر الملك له الوعاء وأسقاه منه كفايته وفي ذلك الوقت مالت الشمس الى المغرب وأقبل الليل

بنسماته الباردة فحمل الملت والنسك الجريح وأدخله الكوخ  
وما كاد ايوسدانه الفراش حتى أضحى عينيه واستغرق في نيات عميق .  
أما الملك فقد أعيتته مشقة العمل وأمهكه تعب الحركة فجثا لوقته  
عند مدخل الكوخ واستسلم أيضاً لنوم هادى طويل .

مضت تلك الليلة ونام الملك فيها ملء جفنيه ولما استيقظ في  
الصباح أراد أن يعيد الى ذاكرته حوادث الليلة الماضية الا  
أنه قبل أن يتذكر أين هو ؟ ومن ذلك الغريب النائم على الفراش  
الناظر اليه بعينين براقين سمع صوتاً ضعيفاً يقول « ساجنى »  
فعلم أنه صوت ذلك الغريب الجريح فالتفت اليه وقال « يلوح لى  
أن ليس بينى وبينك سابق معرفة فعلام تطلب مساجتى ؟ »  
فقال « نعم انك لا تعرفنى ولكنى اعرفك حق المعرفة . فانا عدوك  
الألد الذى حاف ليمنتقم منك لانك أعدمت أخاه واغتصبت أملاكه  
وقد علمت بمجيئك الى هنا منفردا فعزمت على قتلك عند أوبتك  
ولكنى عند ما رأيتك لم ترجع وقد انقضى اليوم خرجت من  
مكبنى لأفتش عنك عسى أن التقي بك واذا ببحر اسك قد عرفونى فاطلقوا  
على بعض غداراتهم وأصابونى فهربت من امامهم والدم يتدفق  
والآلام تزداد حتى رمانى الله بين يديك فضمدت جرحى وعظمت  
على . فما أظهر قلبك وأرق عواطفك ! يارباه انى أتيت لاقتلك  
ولكنك أنقذتنى من الموت وبعثت فى الحياة ثانية فلا أشكرنك

ما حيتت ولن أنسى هاتيك الأيادي البيضاء ما دام في عرق  
 ينبض ولى لسان يتطرق ولا يكون لك الخادم المطيع والعبد الأمين  
 ما دمت استنشقت نسمات الحياة وسامر أولادى أن يقتفوا أثرى  
 من بعدى فنوقف حياتنا جميعا لخدمة الملك «

ولا تسل عن سرور الملك وقتئذ فقد كان عظيما ولا شك في  
 ذلك فان الصالح الذى عقده مع عدو من ألد خصومه بدون أن  
 يسئل في سبيله اقل مجهود يعد حقا صفقة رابحة له . كيف لا وانه  
 بذلك الصالح اجتزأ أسباب البغضاء التى اضرمت في فؤاد ذلك  
 العدو نار العداوة واقتلع بذور الشحنة التى نبتت في قلبه على  
 توالى الزمن واقام مكانها في رحمة ذلك القلب نفسه قصور المحبة  
 تظلالا اشجار الطاعة ودوحات الاخلاص ثم أمر طبيبه الخاص أن  
 يعنى بالجريح عناية تامة ووعدته برد كل املاكه الضائعة . وبعد أن  
 استأذن الملك من الجريح بالانصراف عزم على الرحيل الا أنه ودان  
 يقابل الناسك لاخر مرة عسى ان يهديه الى ضالته المنشوده فوجده  
 يبذر الحب في الأرض فاما قرب منه قال له « اتوسل اليك للمرة  
 الاخيرة أن تجيبني على اسئلتى حتى يطمنن بالى وتكون قد أسديت  
 لى جميلا لا أنساه » فرفع الناسك اليه بصره وقال « انك لقد أجبت  
 تماما على كل اسئلتك » فدهش الملك وقال متعجبا « كيف ذلك  
 وما ذا تعنى ؟ » فرد عليه الناسك بقوله « الم تر انك لو لم تعطف

على بالامس ولم ترحم شيخوختي وضعفي وتركتني أقاسي آلام العمل  
وحدى فن عدوك كان لابد قاتلك واذ ذلك كنت تعض أصبع  
الندم حسرة على عدم بقاءك معي . فاعلم اذاً ان أمن اوقاتك هو  
وقت اشتغالك بالحفر وأنتع رجل وقتئذ هو انا واسداؤك الخير الى  
هو اهم ما اشتغلت به . ثم عند ما وصل اليها الرجل يتخبط في دمائه  
كان اهم وقتك وقت اعتنائك به لانك لو لم تضمد جراحه لقضى نحبه  
بدون ان تظفيء نار بغضائه وتحول عداوته المرة الي صداقة متينة  
وظاعة دائمة واذ ذلك كان الجريح بطل ذلك الوقت وما قدمته له من  
ايادي الخير اهم الاشياء وأنعمها لديك واكثرها فائدة لك . فاعلم  
جيذا ان ليس هناك الا وقت واحد هو من الاهمية بمكان وذلك  
الوقت هو ( الآن ) او البرهة التي انت فيها وما هذا الا لانك  
تكون فيه مالكا ومستجمعا لكل قواك الحالية واهم رجل هو من  
تتكلم معه فيها لانك لست عالما بما هو مسطر لك في سجل القدر  
وفعلك الخير له أنفس ما تشتغل به لأن لهذا الغرض وحده دون  
سواه ظهر الانسان على مسرح الحياة .



## الحكاية السادسة

### - الياس -

يظن الفتى ان السلامة في الغنى فيطلبه رغم النهى بالمقايح  
ويحسب ان الربح فيما يناله على حين أهسى خاسرا غير رابح  
« محمود الجبالي »

هناك تحت ظيل حكومة اوفا عاش رجل يدعى الياس مات  
والده بعد ان اتم تأهيله بحول كامل غير تارك وراءه الا ثروة واسعة  
لا تزيد على سبعة افراس وبقرتين وما يقرب من العشرين رأسا من  
الغنم الا انه فوق ذلك خلف لقيادة كبده الحزم والجهد فكانا نعم  
الثراء وحبذا الارث العظيم . اجل فقد كان الياس حازما مجدا  
لا يدع فرصة تمر بدون اقتناص ولا يني في المتابعة على اصلاح  
شؤونه فكان يقوم مبكرا والناس نيام ويدلف الى فراشه بعد ان  
يهجع كل انسان، وجدده وحزمه كانا كفيلين بتوسيع نطاق ممتلكاته  
وازدیاد ثروته التي بلغت في نهاية الخمسة والثلاثين عاما مائتين  
من الخيل ومائة وخمسين رأسا من الماشية والاف ومائتين من النعاج  
فضلا عن كانوا يموجون في مزرعته من الرجال المأجورين والنساء  
المأجورات اولئك لرعاية ماشيته وقطعانه وهؤلاء لحلب بقره  
وافراسه وعمل الكومس (١) واستخراج الحين والزبد . ومن

(١) شراب روسي مخمر يحضر من ابن الافراس

ذلك الوقت بسم له الدهر فأصبح الياس رب ثروة وافرد وصاحب  
املاك واسعة حسده عليها جيرانه ومواظنود فتمالوا عنه « الياس  
رجل مبيخت حالته الجذفر افقته السعادة واقبلت عليه الدنيا فأصبحت  
طوع بنانه » ثم ذاع صيته وعلت شهرته وتمهات على زيارته  
كثيرون من سراد القود وتسبق الى معرفته العدد العظيم ممن ودوا  
التقرب منه فكان يكرم مشواهم ويذبح لهم الذبائح ويقدم لهم كل  
شهى من الطعام ولذيذ من الشراب .

لم يرزق الياس الاولدان وابنة كانوا عضده الاقوى ايام يؤسه  
يفاجون له الارض ويرعون المشية ويباشرون كل اعمالهم بانفسهم  
أما وقد ارتاش الياس فقد تصارعت بين نفسيهما عناصر المفاسد ،  
ثم لقي أكبرهما مصرعه في عراق وأد من الآخر على تعاطى المسكرات  
وانقاد لامرأته في عدم اطاعة أبيه والاذعان لاوامره فانفصل  
عنه بعد ان لم يطق معه صبرا وقد منحه الياس منزلا يأويه وجاد  
عليه ببعض المشية كي تعاونه على الحياة فكانت هذه التجزئة  
سبباً في تصغير ثروته وفتح مصائب جمه ، فعلى أثرها انتشر وباء  
فتاك حسد كثيراً من أغنامه وتلا ذلك سوء محصول القمح ثم  
أغارت عليه قبائل الكرغيز فسلبته الصافنات من جياده فأتى هذا  
ضغنا على إباله — وهكذا نخرت عوامل الضعف في ذلك الثراء  
فكهار بنيانه وأخذت عوامل التلاشى تعبت ببقايا تلك الثروة  
الدارسة، بينما كان الياس يوسع الخطا نحو القبر ويعن تحت عبء

الشيخوخة الثقيل اذ أربى على السبعين . وقد انقضت عنه أخبار  
ابنه القاصي أما الابنة فعدائهما اننون واحتفظها من بين أبويها  
وبذلك فقد الشيخ وزوجه آخر نصير لهما في الحياة . . . .  
نزلت بهما كل هاتيك المصائب واحاطت بهما الشدة احاطة السوار  
بالمعصم فألجأتها الى بيع كل ما عندهما من بقايا أثاث المجد القديم  
حتى أصبحا لا يملكان الا ما يستر عورتها من ثياب ابلاها الدهر  
والحدثان وما هي الا عشيبة أوضعاها حتى كنت ترى الشيخ وزوجه  
في حالة يستمطران معها أكف المحسنين . وبسألان العطف بعجوزين  
تقوس ظهراهما تحت عبء الفاقة والكبر وهكذا أنزلهم الزمان في  
الحضيض بعد السنام وصدمة بكائه فاسترد ما عارهم من مجد  
مؤثل وعز قديم .

بجوار منزل الياس كان يقطن محمد شاه رجل طيب القلب  
كريم الاخلاق الا انه ليس من ذوي الثراء الواسع . ما كاد هذا  
الرجل يرى ما وصل اليه جاره القديم حتى تذكر مجده الضائع  
وكرمه الماضي وعاودته ذكرى تلك السعادة التي تقلب بين  
أعظافها زمنا طويلا فعطف عليهما وقال لهما « هيا عيشا معي أيها  
الرفيقين واشتغلا بقدر ما تسمح به قوتكما وأنا الكفيل بامر  
طعامكما ولباسكما وقضاء كل مهامكما » فلم يسعهما الا أن يشكراه  
على حسن صنيعه وأصبحا من ذلك الوقت مشمولين برعايته بعد  
ان انتظما في سلك خدمته .

لقد بدا لهما المركز حرجا والعمل شاقا في أول الامر الا انهما  
 ألفاه بتأثير العادة واستمرا يباشران كل ما يقويان عليه من العمل  
 بهمة ونشاط . وكان محمد شاه يرى ان من منفعة الاحتفاظ بمثل  
 هذين العاملين لانهما نمرنا على كثير من الاعمال فضلا عما كان  
 يبدو عليهما من اليقظة والنشاط الا انه من جهة أخرى كان كلما  
 تمثت امام عينيه شدة السقطة التي لاقاها هذان المنكودان —  
 سقطة المجد من أعلى قمته الى أعماق هاوية المذلة السحيقة — هز  
 رأسه أسفاً وحزناً واتفق ذات مرة أن وفد على محمد شاه بعض  
 أقاربه القاطنين لزيارته ورفقتهم أحد المتصوفين (ملا) وبيناهم  
 جالسون يشربون الكومس واذا بشيخ نقض الدهر مرتة يمر من  
 امامهم فالتفت اليهم صاحب الدار قائلاً « الاتروا هذا الرجل  
 فاجابه اجدهم نعم وماذا بعد ؟ فاستمر يقول : « ان اسمه الياس ولقد  
 اتى عليه يوم كان فيه أغنى رجل بيننا واكبر وجهه في هذه النواحي .  
 اما الآن وقد قلب له الدهر مجننه فأصبح مشموذا ضريكا فقد اشفت  
 عليه هو وزوجه وشملتهما بعطفي وادخلتهما في خدمتي يشتغلان  
 معي بقدر ما تسمح ارادتهما وانى لأخالكم قد سمعتم بهبنا  
 الاسم من قبل » فقال الزائر « كيف لا وقد عبت شهرته في طول  
 البلاد وعرضها » واستمر المضيف يقول : « وهو وزوجه يقيان معي  
 الآن ويشغلان عندي كعامالين » نهز الزائر رأسه بعد أن بدت  
 على وجهه علامات الاسف وقال متأوها « ما أشبه الحظ بدورة  
 النلاك فهو آونة يرفع المرء الى سماء السعادة وجنات النعيم وأخرى  
 يؤدي به الى مقر البؤس والنحوس . ولكن هل قابله ياترى منعم بالحزن

والإسى على تلك السعادة المفقودة والثروة الضائعة؟» فقال محمد شاه  
 — ومن يدري فهو يعيش عيشة يحوطها الهدوء وأظلامها السكينة  
 ويياشر العمل بهمة لا تعرف الكلل فقال الضيف مخاطباً صاحب الدار  
 — أأذن لي بوضع دقائق أفضيها في محادثة هذا الشيخ لاستجلى  
 بعض أسرار حياته الماضية

— وإلا

فناداه صاحب الدار قائلاً « تعال أيها الشيخ الجليل لتشاركنا  
 في بعض كؤوس من الكومس تقدمها اليك فاقرب الياس محيياً سيده  
 وسائر ضيوفه ثم ناوله كأساً الا انه ما كاد يأخذ منها جرعة نخب  
 الحاضرين حتى اعادها مكانها وجلس بجانب الباب وكذا أتت زوجته  
 وجلست مختبئة وراء الستائر . بعدئذا بدأ الضيف في محادثته قائلاً :  
 — انا على ما أظن مسيئون اليك بوجودك بيننا فان ذلك  
 ربما يذكر سعادتك الماضية ويعيبك اليك أشجانك الحاضرة  
 فتبسم الياس وقال

— ان أردتم ان أحدثكم عن السعادة والشقاوة فلا أظلمكم  
 مصدقيني والآخرى بكم أن تسألوا زوجتي فهي امرأة وكل ما في  
 قلبها يظهر جابياً على لسانها فكلواها الصدق وحديثها هو كل ما يحتاج  
 في أعماق قلوبها — فأدار الزائر وجهه نحو الستائر وسأل زوجة  
 الشيخ كيف تقيسين بين سعادتك الغابرة . وشقائك الحاضر  
 فجابته قائلة اصغ الى فسأفضي اليك بالحقيقة . قضيت أنا وزوجي  
 نحراً من خمسين عاماً باحثين عن شيء مفقود منقبين عنه في كل  
 مكان فلم نجده الا الآن — نعم في هاتين السنتين الاخيرتين فقط منذ

فقدنا كل شيء وصرنا عاملين عثرنا على ضالتنا المنشودة عثرنا على  
« السعادة » الحقيقية التي لامطمع لنا بعدها

ما تفوهت المرأة بهذا الحديث حتى التفت كل من الجالسين  
الى الآخر التفاته دلت على ما داخلهم من الاندهاش الا انها استمرت  
في حديثها بكل تؤدة وهدوء، « نعم مكثنا نصف قرن كامل ونحن  
نتش عن السعادة بين رباش الغنى وفي قصور الثراء فلم نعثر عليها  
الا الآن حيث ولت هاتيك الايام كالاشباح وانصرت تلك  
الاقوات المشعشة بانوار الثروة فألها الضيف :  
— كيف ذلك وماذا تعنين بالسعادة ؟ — فأجابته

— ما أشرقت علينا شمس الغنى حتى ظهرت من ورائها المتاعب  
الجمّة وتوالت علينا الهموم العديدة: كنا نجلس انفكر في الاهتمام بأمر  
أنفسنا قليلا ونود لو تفرغنا لتأدية الصلاة ولكن هيهات ! كنا  
نحاول النوم ولكن من أين لنا ذلك وجيوش الافكار تتقفانا  
فتطرد عن أعيننا الكرى، وإشباح المخاوف والوساوس تتأثرنا فتبعث  
بنا في ظلمة الليل وسكونه الي حيث نخاف أن يفترس الذئب فلوا  
أوعجلا أو يسرق اللصوص بعض خيوانا ونماجنا وهكذا كلما خامر  
فؤادنا الريب واعبت بنا الهواجس دفعنا الحذر الي الاستيقاظ  
عدة مرات .

كان يقصدنا الضيوف على اختلاف مشاربهم وتباين طبقاتهم  
فكنا نضطر الي ترضيتهم بما تقدمه لهم من أنواع الطعام ومختلف  
الشراب وما تتحننهم به من الهدايا الفاخرة حتى نحبس ألسنتهم فلا  
نكون هدفاً لسهام لغنهم ونسد أفواههم فلا ينزلوا علينا وابلا من

تذائف اللوم والتقريع

وفضلاً عن كل ذلك لم يكن هناك توفيق بيني وبين زوجي  
مكننا على تباين تام وكان هذا مبعثاً لاضطراب نار الشجناء التي كانت  
تتأجج ساعات وأيام . هذه كانت حياتنا سلسلة شقاء متواصل فمن  
أين اذا تطرق السعادة بابنا؟ وكيف نتمتع بالرخاء والهناء في هذه حالنا ؟  
اما الآن فنستيقظ من نومنا متبادلين تحية الصباح ثم نتناول  
طعام الافطار ونخرج الي العمل حيث نقضى سحابة نهارنا في هدوء  
شامل لا يكدر صفوه مكدر وعند الاوبة من العمل نلقى  
امامنا من الطعام مانأ كاله مريناً ومن الشراب مانأذ به هنيئاً وامامنا  
متسع من الوقت يمكننا من الاهتمام بانفسنا وتأدية فرائض العبادة  
لله واذا دللنا الى فراشنا ننام ملء جفوننا لا تزعجنا الاحلام ولا  
ترهبنا المخاوف والاهام . فيها هي السعادة التي تقبنا عندها نصف  
قرن ولم نثر عليها الا في هذه الايام »

ما أتمت المرأة حديثها حتى سخر منها الحاضرون الا ان الياس  
استغفزه الغضب فقال لهم « لا تسترلوا في ضحككم أيها الرفاق  
فليس في الامر ما يستوجب المجون والمزاح — وما هي الاحقائق  
الحياة نسرد لها لكم . لقد ملكنا الجهل باديء بدء فانسجمت عبراتنا  
حزنا على ذلك العز الضائع ولاكنها الحقيقة أراد الله أن يرينا ايها  
ناصحة فنحن الآن نقصها عليكم لالمنفعة تترقبها أو فائدة ننشدها  
انما هي نفاذتكم وذكري لمن يذكر .

فقال الملا : ان هذه لموعظة بالغة وقول الياس الصدق اذ هو  
موافق لما ورد في الاحاديث المأثورة فامسكوا عن الضحك واطرقوا  
كلهم يفكرون فيما دار بينهم من الحديث .